

**القائد والإمبراطور البيزنطي
نقفور فوكاس
وحملاته على بلاد المسلمين
(٣٤٤-٣٥٩هـ/٩٥٥-٩٦٩م)**

دكتور

فهمي عبد الغني محمد المصري
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية.
كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر. القاهرة.

القائد والإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس وحملاته على بلاد المسلمين (٣٤٤-٣٥٩هـ / ٩٥٥-٩٦٩م)

فهمي عبد الغني محمد حسنين المصري.

التاريخ والحضارة (التاريخ الإسلامي). كلية اللغة العربية بالقاهرة. جامعة الأزهر. مصر.

البريد الإلكتروني: fahmyelmasry@azhar.edu.eg

ملخص البحث: الهدف من هذا البحث هو رغبة الباحث في إظهار الدور الفعال الذي قام به القائد والإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس أثناء حملاته على بلاد المسلمين، والاستيلاء على بعض المدن والثغور الإسلامية، لأن معظم الباحثين لم يوجهوا عنايتهم نحو هذا الموضوع على حد علمي، وقد اقتصر حدود البحث على المدة الزمنية (٣٤٤-٣٥٩هـ / ٩٥٥-٩٦٩م) وهي المدة التي ظهر فيها نقفور فوكاس ثم توليه قيادة الجيش البيزنطي في الشرق، ثم عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال الفترة (٣٥٢-٣٥٨هـ / ٩٦٣-٩٦٩م)، وقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي المعتمد على الاستنتاج والتحليل في استقراء الأحداث، كما اعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع العربية بعضها ذا فائدة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، وبعضها ذا فائدة ثانوية. وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج منها: أن نقفور فوكاس أظهر قدرته العسكرية أثناء قيادته لأول حملة قادها ضد المسلمين لاسترداد جزيرة كريت وقد نجح في الاستيلاء على الجزيرة عام (٣٥٠هـ / ٩٦١م)، كما أكد الباحث أن نقفور فوكاس كانت له أطماع خاصة من وجهة نظره، وهي الوصول إلى عرش الإمبراطورية البيزنطية، ويؤكد ذلك تركه حصار حلب عام (٣٥٢هـ / ٩٦٣م) والإسراع نحو القسطنطينية بعد أن وصلته رسالة من ثيوفانو زوجة الإمبراطور رومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥٢هـ / ٩٥٩-٩٦٣م)، وقد أثبت البحث ضعف العالم الإسلامي خلال هذه الفترة، فلم يحرك ساكنًا عندما سقطت كريت أو حتى أي مدينة من المدن الإسلامية، كما أثبت أن حملات نقفور

فوكاس على بلاد المسلمين كانت نوعاً من الحملات الصليبية إذ كان مدفوعاً بعصبية دينية تجاه الإسلام والمسلمين.
الكلمات المفتاحية: القائد، الإمبراطور البيزنطي، نقفور فوكاس، الحملات، بلاد المسلمين.

The Leader and the Byzantine Emperor, Naqfur Phukas, and his campaigns against Muslim countries (344-359 AH / 955-969 AD)

Fahmy Abdel-Ghani Mohamed Hassanein Al-Masry.
History and Civilization (Islamic History). College of Arabic Language in Cairo. Al Azhar university. Egypt.

Email: fahmyelmasry@azhar.edu.eg

Abstract: The aim of this research is the researcher's desire to show the effective role that the leader and the Byzantine emperor, Naqvor Phocas, played during his campaigns on Muslim countries, and the seizure of some Islamic cities and outposts, because most researchers did not direct their attention to this topic to the best of my knowledge. The limits of the research are on the time period (344-359 AH / 955-969AD), which is the period in which Naqfur Fokas emerged, then assumed command of the Byzantine army in the East, then the throne of the Byzantine Empire during the period (352-358 AH / 963-969AD). The researcher relied on the analytical method based on conclusion and analysis in extrapolating events He also relied on a group of Arab sources and references, some of which are of great and indispensable usefulness, and some of them are of secondary benefit. The researcher reached several conclusions, including: The Naqfur Phukas showed his military ability while leading the first campaign he led against the Muslims to retrieve the island of Crete. He succeeded in seizing the island in (350 AH / 961 AD). It is the accession to the throne of the Byzantine Empire, and this is confirmed by the abandonment of the siege of Aleppo in (352 AH / 963AD) and the rush to Constantinople after he received a message from Theophano, wife of Emperor Romanos II (348-352 AH / 959-963AD). The research has proven the weakness of the Islamic world during this period. He moved when Crete or even any of the Islamic cities fell, and he also proved that the Naqvur Focus campaigns on Muslim countries were a

kind of Crusade, as it was driven by religious fanaticism towards Islam and Muslims.

Key words: Commander, Byzantine Emperor, Naqfur Phukas, Campaigns, Muslim Countries

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يدور موضوع هذا البحث حول شخصية القائد والإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس وحملاته على بلاد المسلمين، وهذا الموضوع يتمتع بأهمية كبيرة بسبب كون نقفور فوكاس أحد القادة والأباطرة الأقوياء الذين كان لهم دور بارز في عودة الإمبراطورية البيزنطية إلى قوتها ومجدها القديم لما قام به من تحقيق عدة انتصارات على المسلمين سواء أكان قائداً أم إمبراطوراً، فقد حكم في أثناء ما يسمى بالعصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية، واشتهر بحروبه ضد المسلمين في عهد أمير حلب سيف الدولة الحمداني، ونجح في الاستيلاء على بعض المدن والثغور الإسلامية التي ظلت لعقود طويلة تحت حكم المسلمين تخرج منها الجيوش لمواجهة الإمبراطورية البيزنطية، ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان، لذا أحببت أن أتبع الدور العسكري للقائد والإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس، وذلك من خلال النقاط التالية:

- نبذة موجزة عن نقفور فوكاس.
- علاقة الدولة البيزنطية بالمسلمين منذ بداية عصر الأسرة المقدونية وحتى قبيل عصر نقفور فوكاس (٢٥٣-٣٥٢هـ / ٨٦٧-٩٦٣م).
- نقفور فوكاس قائداً للجيش البيزنطي وحملاته على بلاد المسلمين.
- حملة القائد نقفور فوكاس على جزيرة كريت عام (٣٤٩هـ / ٩٦٠م).
- حملته على عين زربة عام (٣٥٠هـ / ٩٦١م).
- حملته على حلب عام (٣٥١هـ / ٩٦٢م).
- نقفور فوكاس إمبراطوراً للدولة البيزنطية (٣٥٢-٣٥٨هـ / ٩٦٣-٩٦٩م).
- حملات الإمبراطور نقفور فوكاس على بلاد المسلمين في الشرق.
- حملة (ابن الشمشقيق) عام (٣٥٢هـ / ٩٦٣م).
- حملات الإمبراطور نقفور فوكاس خلال المدة (٣٥٣-٣٥٨هـ / ٩٦٤-٩٦٩م).

– سقوط حلب عام (٣٥٩هـ / ٩٦٩م).

- ازدياد هبة الإمبراطور نقفور فوكاس عند المسلمين.
- نهاية الإمبراطور نقفور فوكاس.
- نتائج البحث.

– نبذة موجزة عن نقفور فوكاس.

ينتمي نقفور الثاني فوكاس (Nikephoros II Phokas) لأسرة عسكرية عريقة في قبادوقيا^(١) اشتهر أفرادها بالحرب والقتال، فقد أحرز جده المعروف باسم نقفور فوكاس أيضاً شهرة كبيرة بفضل أعماله الحربية في إيطاليا في عهد الإمبراطور البيزنطي باسيل الأول (٢٥٣-٢٧٣هـ/٨٦٧-٨٨٦م)، كما اشتهر والده بارداس وعمه ليو بالبسالة والبطولة، حيث أسهم في الحرب ضد البلغار، وبلغ أبوه بارداس (Bardas) أرقى الوظائف العسكرية، وكان من ألد أعداء العرب المسلمين، إذ شارك في القتال ضدهم لمدة طويلة في آسيا الصغرى^(٢). أما نقفور فوكاس فقد سار على درب أسلافه، اجتمع فيه صفة الجندي وصفة الراهب، فكان جندياً قديراً تعلق بالجيش والجنود وبادلوه هذا الشعور، كما كان نقيماً ورعاً متمسكاً بالصلاة، ولعل سر تعلق الشعب به ربما يرجع إلى هذه الصفات^(٣).

(١) قبادوق أو قبادوقيا ولاية واسعة في بلاد الروم حدّها جبال طرسوس وأذنة والمصيصة وفيها حصون كثيرة، منها: قرّة، وخضرة، وأنطيوخوس، ومن مدنها المعروفة قونية وملقونية (ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان: دار صادر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٥م ج ٤ ص ٣٠٣).

(٢) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م: دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - د. د. ت ص ٤٣٤.

(٣) محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - مصر ٢٠٠٠م ص ١٩٨، ١٩٩، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٥.

علاقة الدولة البيزنطية بالمسلمين منذ بداية عصر الأسرة المقدونية وحتى قبيل نقفور فوكاس (٢٥٣-٣٥٢هـ / ٨٦٧-٩٦٣م).

تتنمي الأسرة المقدونية إلى مؤسسها الإمبراطور باسيل الأول المقدوني والذي استولى على مقاليد الحكم بعد مقتل الإمبراطور ميخائيل الثالث العموري عام (٢٥٣هـ / ٨٦٧م) مُنهيًا بذلك حكم الأسرة العمورية (٢٠٥-٢٥٣هـ / ٨٢٠-٨٦٧م)^(١) مُبتدئًا حكم أسرة جديدة للإمبراطورية البيزنطية عرفت باسم الأسرة المقدونية (٢٥٣-٤٤٩هـ / ٨٦٧-١٠٥٧م) نسبة إلى إقليم مقدونيا والذي جاء منه^(٢)، وينقسم عصر الأسرة المقدونية إلى قسمين:

الأول: يبدأ من عام (٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، ويمتد حتى عام (٤١٦هـ / ١٠٢٥م).

الثاني: يبدأ من عام (٤١٦هـ / ١٠٢٥م) ويمتد حتى عام (٤٤٩هـ / ١٠٥٧م).
والقسم الأول يعد من أجمع الفترات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية السياسي والحضاري حتى أطلق عليه المؤرخون اسم العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية؛ لأنها خلال هذه الفترة أحرزت انتصارات كبيرة على العرب والبلغار والروس، خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر، وقد توالى على عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال هذه الفترة أباطرة أقوياء أمثال: باسيل الأول (٢٥٤-٢٧٣هـ / ٨٦٧-٨٨٦م) ليو السادس (٢٧٣-٣٠٠هـ / ٨٨٦-٩١٢م) وقسطنطين السابع (٣٠١-٣٤٨هـ / ٩١٣-٩٥٩م) ورومانوس الأول ليكابينوس مشاركًا (٣٠٨-٣٣٣هـ / ٩٢٠-٩٤٤م) ورومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥٢هـ / ٩٥٩-٩٦٣م) ونقفور الثاني فوقاس (٣٥٢-٣٥٩هـ / ٩٦٣-٩٦٩م) ويوحنا تزيمسكس (٣٥٩-٣٦٦هـ / ٩٦٩-٩٧٦م)

- (١) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية: ترجمة/ حسين مؤنس، محمود يوسف زايد - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٠م ص ٦١.
- (٢) عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ١٣٧-١٤٥، طه خضر عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية (٣٢٤-٤٥٣م): دار الفكر - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م ص ١٣٣.

وباسيل الثاني (٣٦٦-٤١٦هـ / ٩٧٦-١٠٢٥م)، وإذا كان بعض الأباطرة أمثال رومانوس الأول ليكابينوس ونقفور فوكاس ويوحنا تزيمسكس دخلاء مغتصبين للسلطة من البيت الحاكم المقدوني، إلا أنهم قد حكموا في ظله ولم يقضوا على هذا البيت، وفي نفس الوقت كانوا أباطرة أكفاء حاربوا من أجل الإمبراطورية البيزنطية وعاد حكمهم بالخير عليها^(١).

أما عن علاقة الأسرة المقدونية بالمسلمين فقد كانت عدائية، حيث كان الصراع ضد العرب في الشرق إحدى الوسائل الرئيسية التي كان على الأباطرة المقدونيين أن يلتفتوا إليها، وقد أحرزوا مكاسب كبيرة في هذا الصدد، فبعد أن كانت الإمبراطورية ملتزمة لجانب الدفاع بصفة عامة نحو ثلاثة قرون، قامت في عهد الأسرة المقدونية بهجوم كبير وتمكنت جيوشها من التقدم والاستيلاء على بلاد لم يشاهدها الجنود البيزنطيين لفترة طويلة^(٢).

تهيأت الظروف المناسبة للبيزنطيين منذ عصر الإمبراطور باسيل الأول (٢٥٤-٢٧٣هـ / ٨٦٧-٨٨٦م) لقتال المسلمين في المشرق^(٣) فواصلوا الزحف نحو الثغور الإسلامية، فبلغت قواته الفرات، وفي عام (٢٥٩هـ / ٨٧٢م)^(٤)

(١) عمر كمال توفيق: الإمبراطورية البيزنطية: دار المعارف - مصر ١٩٦٧م ص ١٠٥، ١٠٩.

(٢) عمر توفيق: نفس المرجع: ص ١١١.

(٣) حيث أمن جيرانه في أرمينيا وبلغاريا وروسيا والإمبراطورية الرومانية الغربية، كما أن الفتن الداخلية سادت أنحاء الدولة العربية الإسلامية وازداد تسلط النفوذ التركي على الخلافة العباسية، واستقلت بعض الدول عن الخلافة كالدولة الطولونية التي استطاعت أن تمد نفوذها إلى بلاد الشام (عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٣٤).

(٤) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ج ٦ ص ٣١٤.

هاجمت قواته مدينتي سميساط^(١) وملطية^(٢)، كما هاجموا أذنة^(٣) عام (٢٦٥هـ/٨٧٨م) وقتلوا وأسروا الكثير من أهلها، وفي عام (٢٦٦هـ/٨٧٩م) هاجموا تل يسهي^(٤) فأسروا من أهلها عددًا كبيرًا قدر بنحو مائتين وخمسين

(١) سميساط، مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات، (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٣ ص ٢٥٨) فتحت سميساط صلحًا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة الفهري (البلاذني، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان: دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٨م ص ١٧٥)، وفي العصرين الأموي والعباسي كانت من الثغور الجزرية ومنها تخرج الجيوش الإسلامية إلى بلاد الروم (ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق/ سهيل زكار - دار الفكر - بيروت - لبنان - د. ت ج ١ ص ٢٥٣) وهي غير موجودة اليوم حيث غمر موقعها سد أتاتورك الذي تم تشييده في عام ١٩٨٩م (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) ملطية، بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ١٩٢) وهي من الثغور الجزرية بالشام فتحت عنوة على يد حبيب بن مسلمة الفهري ثم هدمها الروم وبنها أبو جعفر المنصور عام (١٣٩هـ) كانت ملطية في طريق الصوائف التي تنطلق لغزو بلاد الروم (الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار: تحقيق/ إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة - مطابع دار السراج - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٠م ص ٥٤٥) وهي اليوم عاصمة محافظة ملطية تقع قرب نهر الفرات في تركيا (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) أذنة بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ١٣٣) بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها (الحميري: الروض المعطار: ص ٢٠).

(٤) تل يسهي من ديار ربيعة الواقعة في الجزيرة الفراتية شرقي ديار مضر وجنوبي ديار بكر وهي الأراضي الممتدة على ضفتي نهر دجلة وتتكون من عدة كور، منها نصيبين، قرقيسيا، وميافارقين، وغيرهم؛ وهي كلها بين الحيرة والشام (البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الثالثة ١٤٠٣هـ - ج ٢ ص ٥٦٨، عبد الحكيم الكعبي: الجزيرة الفراتية وديارها العربية [ديار بكر، ديار ربيعة، ديار مضر] دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي قبل الإسلام: دار صفحات - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى ٢٠٠٩م ص ٣٤).

أسيراً^(١)، كما تكررت هجمات البيزنطيين على الثغور الإسلامية خلال الفترة (٢٦٧-٢٩٣هـ/٨٨٢-٨٩٨م)^(٢).

وفي عصر الإمبراطور ليو السادس (٢٧٣-٣٠٠هـ/٨٨٦-٩١٢م) كان الخطر البيزنطي بالنسبة للمسلمين على نطاق محدود، وذلك لانشغاله بمحاربة البلغار مما سمح للمسلمين بالقيام بعمليات بحرية على نطاق واسع على شواطئ آسيا الصغرى الجنوبية، وفي البحر المتوسط سقطت مدينة تورمينا (طبرمين)^(٣) آخر المعاقل البيزنطية في صقلية عام (٢٨٩هـ/٩٠١م) ويسقوطها فقدت الإمبراطورية البيزنطية جزيرة صقلية تمامًا، وامتدت سيطرة المسلمين إلى بحر إيجه^(٤) المحاط بالأراضي البيزنطية، وفي عام (٢٩٢هـ/٩٠٤م) استولى المسلمون بقيادة ليو الطرابلسي^(٥)...

(١) ابن الأثير: الكامل: ج ٦ ص ٣٦٢، ٣٦٨.

(٢) عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٣٥.

(٣) طبرمين قلعة حصينة بصقلية (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧) وكان الذي فتحها في هذا التاريخ إبراهيم بن أحمد بن الأغلب الأمير العاشر من أمراء الأغلبية أصحاب إفريقية ولي إفريقية خلال المدة (٢٦١-٢٨٩هـ) (ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال - دار الثقافة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ج ١ ص ١١٦، ص ١٣٢).

(٤) هو أحد أفرع البحر المتوسط يقع بين شبه الجزيرة اليونانية والأناضول، يتصل ببحر مرمرة عن طريق مضيق الدردنيل، وتطل عليه تركيا واليونان (موقع الموسوعة الحرة).

(٥) ليو الطرابلسي وهو رشيق الوردامي وقيل غلام زرافة لأنه كان مملوكًا لزرافة حاجب المتوكل العباسي كان جندي يوناني بيزنطي، تم أسره في إحدى غارات المسلمين على آسيا الصغرى وحمل إلى طرابلس فكان من نصيب زرافة الذي استخلصه لنفسه واعتنى به. اعتنق الإسلام، ونسب إلى طرابلس الشام حيث تولّى إمرتها وصار من أعظم أمراء البحر المسلمين (الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ج ٢٢ ص ٦، ٧ هامش ٦، عمر عبد السلام تدمري: لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية (١٣٢-٣٥٨هـ/٧٥٠-٩٦٩م): جرس برس - طرابلس - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ص ٨١، (٨٢).

على مدينة سالونيك^(١) والتي تعد مركزًا حضاريًا وتجاريًا هامًا بالنسبة للبيزنطيين، وثاني أغني مدينة بعد العاصمة القسطنطينية، ثم استولى على أتاليا^(٢).

وقد تركت هزيمة البيزنطيين في سالونيك نتائج مهمة، وتعد من أسوأ ما أصاب الإمبراطورية البيزنطية في تاريخ الصراع العباسي البيزنطي، غير أن المسلمين لم يستغلوا هذا الانتصار أو يستفيدوا منه على الجبهة البرية لتحقيق أهداف مهمة، لأن هذه الجبهة كانت تمر بمرحلة ضعف^(٣)، وأمام هذه الهزيمة القاسية للبيزنطيين فإن الإمبراطور ليو السادس لم يقف مكتوف الأيدي؛ بل أجرى عدة إصلاحات عسكرية سريعة في إقامة التحصينات في سالونيك وأتاليا اللتان تعرضتا لهجوم الأسطول الإسلامي، كما وجه القائد البيزنطي هيمروس للقيام بحملات سريعة على طرطوس^(٤)، واللاذقية^(٥) عام (٢٩٨هـ/٩١٠-٩١١م) وسبي الكثير من أهلها، كما شن هجومًا على جزيرة

(١) مدينة رومية قديمة واقعة جنوب بلاد (مقدونية) على بحر أرخبيل اليونان، وأيضاً تقع على خليج سالونيك من بحر إيجه، وهي اليوم من مدن اليونان (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) أتاليا أو أنطالية بلد كبير من مشاهير بلاد الروم. قال البلخي: إذا تجاوزت قلمية واللأمس انتهيت إلى أنطالية حصن للروم على شطّ البحر منيع واسع الرستاق كثير الأهل، ثم تنتهي إلى خليج القسطنطينية (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ٢٧٠) وهي اليوم هي مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في جنوب غرب تركيا، وهي عاصمة مقاطعة أنطاليا (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٤٤.

(٤) بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكاً (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٣٠) وهي اليوم مدينة سورية تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط جنوبي مدينة اللاذقية وهي ميناء سوري هام (موقع الموسوعة الحرة).

(٥) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال حمص وهي غربيّ جبلة (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ٥) وهي اليوم مدينة ومحافظة سورية تحمل نفس الاسم اللاذقية (موقع الموسوعة الحرة).

كريت^(١) لكنه فشل في السيطرة عليها، وسميت حملته هذه بالحملة المشؤومة لما أعقبها من أحداث حيث أنه أثناء عودته فوجئ بكمين بحري نصبه له ليو الطرابلسي ودميانة^(٢) في جزيرة ساموس^(٣) (Samos)، لكنه نجا بأعجوبة وعاد إلى القسطنطينية ونزل في الدير ثم توفي بعد فترة قليلة^(١).

(١) جزيرة كريت ويسمىها العرب (أفريطش)، وهي جزيرة في البحر المتوسط. غزاها جنادة بن أبي أمية الأزدي بعد فتحه جزيرة أرواد عام (٥٥٤هـ) في أيام معاوية، وفي عهد الوليد بن عبد الملك فتح بعضها ثم أغلق، وغزاها حميد بن معيوف الهمداني في خلافة هارون الرشيد ففتح بعضها، وفي خلافة المأمون غزاها أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأفريطشي فافتتح منها حصناً واحداً ونزله، ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحداً وخرّب حصونهم، وذلك في عام (٢١٢هـ) في أيام المأمون وقد وتوارثها عقبه وفيها أسسوا قاعدة لهم أحاطوها بخندق كبير فعرفت باسم (الخندق) ومنذ ذلك الوقت صارت (كريت) قاعدة إسلامية ضد الدولة البيزنطية ومصدر رعب لأمنها وتجاريتها، وقد حاول البيزنطيون استعادتها مرات عديدة لكنها فشلت بسبب المساعدات التي كانت تقدمها مصر والشام وأفريقية لهذه الجزيرة، وبعد قرن ونصف من الزمان تمكن القائد البيزنطي والإمبراطور فيما بعد (نقفور فوكاس) من استعادتها عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) (البلادري: فتوح البلدان: ص ٣٣٠، الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٥ ص ٥٤٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ٢٣٦)، وفي عام (١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) عشر استولى عليها الأتراك العثمانيون وظلت في أيديهم حتى دخلت تحت الاحتلال البريطاني عام (١٨٩٨م) ثم التحقت باليونان عام (١٩١٣م) (تحسين علي الكريدي: جزيرة كريت في التاريخ العربي والإسلامي: دار البيروني - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ٢٠١٩م ص ٤٧، ٥٤، ٥٥).

(٢) داميان المعروف في المصادر العربية باسم دميانة و لقبه غلام يزمان حاكم طرسوس، كان دميانة يوناني بيزنطي اعتنق الإسلام، تولى حكم طرسوس خلال الفترة (٢٨٣-٢٨٤هـ/ ٨٩٦-٨٩٧م)، ويعد دميانة واحداً من القادة العظام للغارات البحرية الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية في أوائل القرن العاشر (جميل عبد الله المصري: طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م ص ١١٩).

(٣) جزيرة يونانية في بحر إيجه، وكانت تمثل قوة بحرية رئيسية ومركزاً مهماً للتجارة في بحر إيجه، حيث إنَّها كانت على اتصال مع ثقافات البحر الأبيض المتوسط الرئيسية وحاليًا يجعلها قريبة من ساحل آسيا الصغرى جسراً بين الثقافتين (ول ديورانت: قصة الحضارة: =

وخلاصة القول: أنه طوال العشر سنوات الأخيرة من حكم الإمبراطور ليو السادس (٢٧٣- ٣٠٠هـ/٨٨٦-٩١٢م) كان التفوق البحري للمسلمين ظاهرة، فقد فرضوا سيطرتهم على أهم جزر البحر المتوسط (قبرص) وأكملوا السيطرة على كريت وصقلية، وبذلك أصبح البحر المتوسط بحيرة عربية إسلامية خالصة، وظل هذا الوضع قائماً حتى عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) عندما سقطت كريت بيد البيزنطيين^(٢).

وفي عهد قسطنطين السابع (٣٠١-٣٤٨هـ/٩١٣-٩٥٩م) ورومانوس الأول ليكابينوس (٣٠٨-٣٣٣هـ/٩٢٠-٩٤٤م) الذي شارك قسطنطين السابع في الحكم، استغلت الإمبراطورية البيزنطية انشغال الخلافة العباسية بحركة القرامطة، ولذلك بدأت الدولة البيزنطية تهدد أعالي بلاد الجزيرة الفراتية^(٣)، وبالفعل استولوا على ملطية عام (٣١٩هـ/٩٣١م) لكنها لم تستمر في أيديهم طويلاً حيث تم استعادتها عام (٣٢٢هـ/٩٣٤م) على يد الحمدانيين الذين حلوا

=ترجمة/ زكي نجيب محمود وآخرين: دار الجيل - بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج ٦ ص ٢٥٩).

(١) عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٤٤.

(٢) الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ): تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتياخا: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري - جروس برس - طرابلس - لبنان - ١٩٩٠م ص ٩٥، الأصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٢٥٢، عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٤٥.

(٣) جَزِيرَةُ أَفُورَ أو الجزيرة الفراتية وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار ربعية وديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، ومن أمهات مدنها حَرَّانَ والرَّهَّاءَ والرَّقَّةَ ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وأمد وميافارقين والموصل وغير ذلك (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ١٣٤) بعض هذه المدن ما زالت قائمة بأسمائها التاريخية أو أسماء جديدة (مثل أمد التي أصبحت ديار بكر) وبعضها الآخر اندثر أو نشأت على أنقاضها أو بجوارها مدن وبلدات جديدة (موقع الموسوعة الحرة).

محل الدولة الإسلامية في الدفاع عن الثغور الإسلامية ومواجهة البيزنطيين، لكن الدولة البيزنطية واصلت الضغط على الثغور الإسلامية فاستولت في عام (٩٤٩/٣٣٧هـ) على الحدث^(١) ومرعش^(٢)، وبذلك حققت الدولة البيزنطية في عهد رومانوس الأول وقسطنطين السابع عدة انتصارات على الجبهة البرية مع المسلمين^(٣).

(١) الحدث، حصن بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور الإسلامية، ويقال لها الحمراء، وقد فتحه حبيب بن مسلمة الفهري أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد تناوب المسلمون والروم الاستيلاء عليه أكثر من مرة (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٢٢٨، ٢٢٩). لم أعر له على ترجمة حديثة.

(٢) مرعش مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ١٠٧) واليوم هي مدينة بين قيليقيّة والأناضول جنوب تركيا حالياً. تقع عند أقدام جبال طوروس إلى الشرق من نقطة التقائها بجبال الأمانوس، وهي عاصمة محافظة مرعش (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٥٣.

الجزيرة الفراتية: موقع الموسوعة الحرة.



نفقور فوكاس قائداً للجيش البيزنطي وحملاته على بلاد المسلمين.

كان الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (٣٠١-٣٤٨هـ / ٩١٣-٩٥٩م) قد رأى أن بارداس والد نفقور لم يعد في استطاعته مواصلة القتال ضد المسلمين في آسيا الصغرى لكبر سنه، ولذلك أعفاه من منصبه وعين مكانه ابنه نفقور قائداً عاماً على كل القوات البيزنطية في آسيا الصغرى، وبعد وفاة قسطنطين تولى الإمبراطور رومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥٢هـ / ٩٥٩-٩٦٣م) العرش خلفاً لوالده، وأجرى عدة تغييرات في القيادة العسكرية البيزنطية، فنقل نفقور فوكاس من القيادة في آسيا الصغرى للعمل ضد المسلمين في جزيرة كريت لاستردادها من أيديهم^(١).

١- حملة القائد نفقور فوكاس على جزيرة كريت عام (٣٤٩هـ / ٩٦٠م)

حاول البيزنطيون استعادة جزيرة كريت عدة مرات من أيدي المسلمين الأندلسيين وجمعوا بحارة ومحاربين من شتى أنحاء أوروبا، ولكن دون جدوى،

(١) عمر توفيق: الإمبراطورية البيزنطية: ص ١١٢، طلب صبار، انتصار شاكرك: العلاقات السياسية للقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية مع البيزنطيين في القرنين الرابع والخامس الهجريين:

مجلة آداب الفراهيدي - جامعة تكريت - العراق - العدد ١١ لعام ٢٠١٢م ص ٣٠٥.

فكريت (إقريطش) أصبحت عصابة بفضل الإمدادات العسكرية التي كانت تقدمها مصر والشام للجزيرة المجاهدة باعتبارها أرض رباط أمام العدو البيزنطي، مما جعل الأندلسيين في قمة نشاطهم العسكري البحري بعد ولائهم للدولة العباسية، والتي جعلت من إقريطش جزءاً من التقسيم الإداري التابع لإقليم مصر التي تتولى تزويدهم بالسلاح والمعدات، كما كانت دار صناعة السفن في دمياط^(١) تزودهم بكل متطلبات صناعة السفن والتي بُني لها مرفأ خاص في إقريطش لجودة أخشاب الجزيرة، وفي المقابل تتقل بضائع العسل والجبين والأخشاب لمصر والشام، مما جعل الجزيرة تنمو اقتصادياً^(٢).

كانت المحاولات الأولى لاسترداد الجزيرة بدأت منذ عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني (٢٠٥-٢١٤هـ / ٨٢٠-٨٢٩م) والذي أرسل ثلاث حملات الأولى عام (٢١٣هـ / ٨٢٨م) بقيادة فوتيوس حاكم الأناضول والذي طلب بعض الإمدادات فأمدته الإمبراطور ميخائيل الثاني بداميان قائد الاصطبلات البيزنطية، والحملة الثانية كانت بعدها بقليل بقيادة كراتيروس لكن محاولات هاتين الحملتين باءتا بالفشل ففي الحملة الأولى نجح فوتيوس في الفرار بينما وقع داميان في الأسر، وفي الثانية فرّ قائدهم كراتيروس في سفينة فتعقبوه حتى ظفروا به وقتلوه^(٣).

(١) دمياط، مدينة قديمة بين تيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، وكانت ثغر من ثغور الإسلام (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣) وهي اليوم مدينة مصرية وعاصمة محافظة دمياط بأقصى شمال مصر، وبعدها بـ ١٥ كم يصب فرع دمياط من النيل في البحر الأبيض المتوسط عند رأس البر، يفصلها شريط ضيق عن بحيرة المنزلة، وإلى الجنوب الغربي تمتد مزارع وجه بحري (دلتا النيل) وسهولها، ويعتبر ميناء دمياط أحد أهم موانئ مصر فينشط استقبالاً للسفن وتتكثف فيه حركة البضائع (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) الكريديلي: مرجع سابق: ص ٣٧، علي إبراهيم بكرابي: تاريخ جزيرة كريت والمهاجرين: دار المنى - طرابلس - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ص ٢٢، إبراهيم أحمد عيسى: إمارات أوروبا المسلمة (إقريطش إمارة المطرودين): مقال منشور بموقع ساسة بوست.

(٣) فازيليف: العرب والروم/ ترجمة/ محمد عبد الهادي شعيرة - دار الفكر العربي - القاهرة - ص ٦٠، ٦١، إسمنت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية: دار المعارف - مصر - ٩٨٣م ص ٩٨.

أما الحملة الثالثة فكانت عام (٢١٤هـ/٨٢٩م) بقيادة قائد بيزنطي يدعى أوريفاس، وقد أجزل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني العطاء للمشاركين في هذه الحملة كوسيلة لرفع معنوياتهم التي لا بد وأن تكون قد تأثرت نتيجة لما أصاب الحملتين السابقتين من فشل، فأمر بصرف أربعين قطعة ذهبية لكل فرد اشترك في هذه الحملة^(١).

غير أن هذه الحملة كان مصيرها الفشل كسابقتها، فبعد وصول هذه الحملة أمام جزيرة كريت وقع جزء من الأسطول في كمين أعده المسلمون، أما الجزء الباقي فقد اشترك مع المسلمين في معركة لقي خلالها هزيمة نكراء دمر خلالها^(٢)، وهكذا فشلت محاولات الإمبراطور ميخائيل الثاني (٢٠٥-٢١٤هـ/ ٨٢٠-٨٢٩م) لاسترداد جزيرة كريت.

ويعدد البعض^(٣) العوامل التي أدت إلى إخفاق تلك الحملات على الرغم أن الفتح الاسلامي لجزيرة كريت كان لا يزال في مراحله الأولى، ولم يكن المسلمون قد ثبتوا أقدامهم بعد في هذه الجزيرة ومن هذه العوامل:

- روح المسلمين الحماسية للجهاد في سبيل الله.

- رغبة الفاتحين في المحافظة على هذا الكسب الجديد والاستماتة في الدفاع عنه.

- كان الفتح الإسلامي لكريت قد تم في الوقت الذي خرجت فيه الإمبراطورية البيزنطية من حرب أهلية قد أنهكتها وعادت عليها بأسوأ النتائج العسكرية والاقتصادية.

وفي عهد الأباطرة البيزنطيين الذين جاؤا بعد ميخائيل الثاني توالى الحملات البيزنطية لاسترداد كريت لكنها باءت بالفشل حتى كان عصر الإمبراطور الشاب رومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥١هـ / ٩٥٩-٩٦٢م) والذي لم يبلغ من

(١) فازيليف: مرجع سابق: ص ٦١، إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ١٠١.

(٢) إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ١٠١.

(٣) إسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية: ص ١٠١ وما بعدها.

العمر عشرين عامًا، فاستولى على السلطة برنجاس^(١) وصارت الأمور بيده فرأى ضرورة استعادة كريت من أيدي المسلمين، ومن أجل تحقيق هدفه فإنه أعد أسطولاً كبيراً قدر في بعض المراجع بـ ٣٣٦٠ سفينة، منها ٢٠٠٠ سفينة حربية و ١٣٦٠ للمؤن والذخيرة^(٢)، وفي البعض الآخر بـ ٢٦٠٠ سفينة حربية، ١٣٦٠ سفينة للمؤن والعتاد^(٣).

وعلى الرغم من أن هذه الأعداد قد يكون مبالغ فيها، إلا أنها تدل على الاستعدادات الضخمة للحملة، ومدى جدية الإمبراطورية البيزنطية في استرداد جزيرة كريت هذه المرة.

وقد تم اختيار القائد نقفور فوكاس قائداً لهذه الحملة، وقد كان هذا الاختيار موفقاً لما امتاز به من صفات عديدة جعلته من أكفأ القادة البيزنطيين، فهو ينتمي إلى عائلة من أكبر العائلات الإقطاعية في آسيا الصغرى، إضافة إلى أن أفراد هذه العائلة قد انخرط معظمهم في السلك الحربي وأبلوا بلاءً حسناً في الحروب التي خاضوها ضد أعداء الإمبراطورية البيزنطية، وقد عرف عن نقفور مهارته في القتال، واجتمعت فيه صفة الجندي وصفة الراهب، لذا فقد تعلق به الجند، وأحبه الناس لما اتصف به من شدة تدينه وورعه وتقواه^(٤)، وقد شارك في هذه الحملة عناصر مختلفة من الأرمن والصقالبة والبجناك والخرز والروس، ولم تذكر المصادر البيزنطية أعداد القوات المشاركة في هذه

(١) برنجاس لم أعتز له على ترجمة وافية، لكن يبدو أنه كان كبير الوزراء منذ عهد الإمبراطور قسطنطين السابع (٣٠١-٣٤٨هـ/٩١٣-٩٥٩م) وبعد وفاة رومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥٢هـ/٩٥٩-٩٦٣م) استولى على السلطة، وبعد تولى نقفور فوكاس عرش الإمبراطورية عزله من الخدمة، وأنزله بدير خارج القسطنطينية، فأمضى به ما تبقى من عمره حيث توفي عام (٩٧١م) (العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٦٣، ٤٦٤).

(٢) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٦.

(٣) الكريديلي: جزيرة كريت في التاريخ العربي الإسلامي: ص ٣٨.

(٤) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٥، إسمنت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٤٧.

الحملة، إلا أن بعض المصادر العربية قدرت الأعداد باثنين وسبعين ألف مقاتل بينهم خمسة آلاف فارس^(١).

ويذكر البعض: أن هذه الحملة تعد من أشهر الحملات الموجهة ضد كريت في التاريخ البيزنطي، إذ إن الدولة البيزنطية لم تشهد منذ قرون عديدة مثلما شهدته حينئذ من حشد جيش ضخم وأسطول كبير^(٢).

على كل حال أفلح نقفور فوكاس بحملته في أواخر يونيه عام (٣٤٨هـ/٩٥٩م) ووصلت أمام جزيرة كريت في يوليو (٣٤٩هـ/٩٦٠م) فقام نقفور بتوزيع السفن على ساحل كريت، في خطوة لمحاصرة مدينة الخندق عاصمة إمارة كريت من كل النواحي^(٣).

كانت جزيرة كريت (إقريطش) في ذلك الوقت تحت حكم إمارة الربضيين الأندلسيين الذين افتتحوها منذ عام (٢١٢هـ/٨٢٦م) وكان أميرها عبد العزيز بن شعيب^(٤).

وفي محاولة لاستطلاع أخبار الجزيرة قام أحد قادة نقفور فوكاس وهو من أكفأ قادة الحملة ويدعى باستيلاس على رأس قوة لاستكشاف الأوضاع داخل

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ٢٣٦، إسمنت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية: ص ٢٤٨

(٢) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٥.

(٣) العريني: المرجع السابق: ص ٤٣٧، إسمنت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٤٧.

(٤) عبد العزيز بن شعيب هو ابن شعيب بن أحمد بن عمر الثاني البلوطي وعاشر أمراء إمارة كريت والأخير. تولى الإمارة عند وفاة عمه علي عام (٣٣٨هـ/٩٤٩م) وحتى سقوط الإمارة بأيدي البيزنطيين (٣٥٠هـ/٩٦١م) حيث قبض عليه مع أسرته وأخذوا إلى القسطنطينية، وتوفي هناك بعد بضعة سنوات دون أن يترك دينه بعد أن أجبر البيزنطيون المسلمين على الدخول في المسيحية (الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٧م ص ٤٠٧، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

الجزيرة، إلا أن المسلمين باغتوا هذه القوة وأبادوها عن آخرها، ويذكر البعض أن باستيلاس لقي مصرعه^(١)، بينما يذكر البعض الآخر أنه أخذ أسيرًا^(٢). كان لهذه الهزيمة التي لقيها باستيلاس وجنوده أسوأ الأثر في نفس نقفور فوكاس فقرر ضرب الحصار على الجزيرة، ومنها الخندق عاصمة الجزيرة ومدينتها الحصينة، والتي تعد مفتاح الجزيرة، توجه فوكاس بجيشه حتى وصل إلى الخندق، ففرض عليها حصارًا قاسيًا من البر، بينما حاصرتها سفن الأسطول البيزنطي من البحر^(٣).

استمر الحصار الشديد على جزيرة كريت لفترة طويلة قدره بعض المؤرخين بثمانية أشهر^(٤)، تخلل هذه المدة عدة اشتباكات لم تسفر عن شيء للطرفين، وقد كان لأهل الجزيرة المسيحيين دور كبير في هذا الصراع، فقاموا بإشعال الحرائق في القرى والمحاصيل الزراعية، وأتلفوا أشجار النخيل والفاكهة حتى يضار المسلمين بهذا الحصار، كما طافوا بالمدن والقرى، وأخذوا يثيرون الذعر والرعب، والإشاعات المغرضة ويحثون المسلمين على الاستسلام^(٥). كانت نتيجة هذا الحصار الشديد، سوء أحوال المسلمين داخل الجزيرة، واشتداد الجوع وتفشي الأمراض فأخذ أمير كريت عبد العزيز بن عمر بن شعيب في الاستغاثة بالقوى الإسلامية في المشرق فأرسل إلى الأمويين بالأندلس، وتشير المراجع أن ضغط البيزنطيين على الجزيرة وتضييق الخناق على المدينة جعل تقديم المساعدة من قبل الأمويين أمرًا صعبًا^(٦).

(١) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٢٣٧.

(٢) إسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية: ص ٢٥٠.

(٣) إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٥١، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٧.

(٤) الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٥.

(٥) إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٥٢، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٧.

(٦) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٣٨.

كما تشير بعض المصادر^(١) إلى أن أمير كريت أرسل أيضاً إلى الفاطميين بإفريقية، والإخشيديين في مصر لنجدته، ويذكر نفس المصدر أن الفاطميين أرسلوا بعض القوات لمساعدة أهل الجزيرة، أما الإخشيديون فيذكر المصدر أنهم لم يبدو أي اهتمام، ولم يبين سبب ذلك، وترجح بعض المراجع أن السبب في ذلك ربما يكون الاضطراب الذي ساد مصر وقتذاك^(٢).
ويذكر المصدر: أن أهل مصر أعلنوا سخطهم وثاروا على الإخشيديين لعدم نصرته أهل كريت^(٣).

(١) القاضي النعمان، النعمان بن محمد بن حيون (٣٦٣هـ): المجالس والمسائرات: تحقيق/ محمد اليعلاوي وآخرون - دار المنتظر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٦م ص ٤٤٤.

(٢) وهو الصراع من أجل السلطة بين أونوجور بن محمد بن طغج الاخشيدي (٣٣٤-٣٤٩هـ/ ٩٤٦-٩٦٠م) وبين كافور الوصي عليه، وما أدى إليه ذلك إلى انقسام بين الجند بمصر، فلم يستطع أيًا منهما إرسال جنده فيفقد بذلك السند الذي يعتمد عليه في مواجهة الآخر (إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٥٣).

(٣) ورغبة من كافور في كسب ولاء أهل مصر وتأييدهم أنزل عدة سفن إلى البحر وتظاهر بأنه يعدها للإبحار إلى كريت وإغاثة أهلها (القاضي النعمان: المجالس والمسائرات: ص ٤٤٥).

وبالنسبة للحمدانيين^(١) في حلب^(٢) فقد أرسل سيف الدولة الحمداني جيشاً على رأسه أمير طرسوس^(٣) لنجدة المحاصرين بكريت، ولم توضح المصادر ما إذا

(١) ينسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون بن الحارث من قبيلة تغلب، وقد ظهر نفوذ حمدان في شمال العراق عام (٢٥٤هـ/٨٦٨م) أثناء خلافة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م)، قام حمدان بدور هام في الحوادث السياسية في الموصل منذ عام (٢٦٠هـ/٨٧٣م)، ثم اشتهر ابنه الحسين بن حمدان بحروبه ضد القرامطة، وعين الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) أخاه عبد الله بن حمدان على الموصل وما حولها عام (٢٩٢هـ/٩٠٤م) وبعد سيطرة بن بويه على مركز الخلافة العباسية طرد معز الدولة البويهى الحمدانيين من الموصل. فذهبوا إلى حلب، وقامت لهم دولة فيها أسسها على بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، الملقب بسيف الدولة؛ حيث استطاع بمعاونة أخيه الأكبر ناصر الدولة انتزاع حلب من الإخشيديين عام (٣٣٣هـ/٩٤٤م) ثم استطاع بعد ذلك أن يبسط سلطانه على حمص و قنسرين و العواصم وبعض بلاد الجزيرة سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) ، وقد قام سيف الدولة الحمداني بمهمة جليلة أثناء حكمه الذي استمر حتى عام (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، وهي حماية الثغور الإسلامية من غارات الروم (البيزنطيين) المتواصلة، بعد أن ضعفت الخلافة المركزية عن القيام بهذه المهمة وبعد وفاة سيف الدولة عام (٣٥٦هـ/٩٦٧م) ضعفت الدولة، واستمرت في الضعف حتى قضى عليها الفاطميون في حلب عام (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) (أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر [١٤١٧هـ/٩٦-٩٧م] مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ص٢٢٨).

(٢) مدينة تقع في شمال بلاد الشام (سورية) كانت قاعدة لجند قنسرين، اتخذها المسلمون مركزاً لصد هجمات الروم وخاصة أيام سيف الدولة الحمداني، اشتهرت بمسجدها الأموي وبقلعته التي ما زالت تحتفظ بمظهرها العسكري وروعة بنائها كما أنها تشتهر بآثارها العديدة منها أبواب المدينة وحصونها ومساجدها ومدارسها وبيمارستاناتها. خرج منها كثير من العلماء والشعراء والأدباء كابن العديم المؤرخ صاحب كتاب (زبدة حلب في تاريخ حلب) وابن الشحنة المؤرخ صاحب كتاب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) وكبار شعراء العربية: المتنبى والبحري وأبو فراس وغيرهم (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٢٨٢-٢٩٠) وحلب اليوم مدينة سورية تقع شمال غرب سوريا، وهي مركز محافظة حلب التي تعد أكبر المحافظات السورية من ناحية تعداد السكان، وهي على بعد ٣١٠ كم من دمشق (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) طرسوس، مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وثغر من أهم الثغور الإسلامية في منطقة (قيليقية) ظلت من أكبر الثغور حتى استولى عليها الروم عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م) وظلت بيدهم حتى عام (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) فيها دفن الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٤-٨٣٣م) (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٢٨، ٢٩)، وهي اليوم مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر =

كان ذلك نتيجة لرسالة أرسلها أمير كريت لسيف الدولة، أم أنه كان تصرفاً تلقائياً بوصفه حامل لواء الجهاد ضد البيزنطيين في المشرق الإسلامي في ذلك الوقت، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل، إذ إن بعض القوات البيزنطية اعترضت طريق هذا المدد وأجبرته على العودة من حيث أتى^(١).

وبالنظر إلى هذه الاستغاثات التي أرسلها أهل كريت أو أميرها عبد العزيز بن عمر بن شعيب نجد أن المصادر العربية لم تذكر أن أمير كريت أرسل يستغيث بالأمويين في الأندلس، أو الفاطميين في المغرب، ولم يرد أن أهل كريت استغاثوا بالفاطميين إلا في مصدر واحد وهو كتاب المجالس والمسائرات للقاضي النعمان فقيه ومؤرخ الفاطميين في ذلك الوقت، فقد ذكر: "أن أهل كريت أرسلوا إلى الخليفة الفاطمي يستجدون به، كما ذكر أنهم لم يلجأوا إلى الفاطميين في المغرب إلا بعد أن علموا أنه ليس عند بني العباس نهضة، ولا لهم لديهم نصره....."^(٢).

وتذكر بعض المراجع أن معنى ذلك: أن أهل كريت أو أميرها قد استغاث بالعباسيين فلم يجدوا منهم استجابة، أم أنهم أدركوا بثاقب نظرهم وتفهمهم لحقيقة الأوضاع في الدولة العباسية أنهم لن يحصلوا على مساعدة جديّة من جانبها، فاتجهوا للفاطميين مباشرة، كما يذكر نفس المرجع أنه لم يرد بالمصادر العربية والبيزنطية أي إشارة إلى التجاء أهل كريت إلى العباسيين بشأن طلب نجدتهم^(٣).

وبالبحث عن صحة ذلك: لم أجد في أي مصدر من المصادر المتاحة ما يشير فعلاً إلى أن أهل كريت طلبوا النجدة من العباسيين، ولم يرد ذلك إلا في

=الأبيض المتوسط، تابعة لمحافظة مرسين، وتبعد حوالي ١٥ كم عن مدينة مرسين و ٤٠ كم عن مدينة أضنة (موقع الموسوعة الحرة).

(١) إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٥٤.

(٢) القاضي النعمان: المجالس والمسائرات: ص ٤٤٣.

(٣) إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٥٦.

مصدر واحد وهو المجالس والمسائرات ويبدو لي: أن ذلك جاء من قبل الفاطميين ومؤرخهم لتشويه الخلافة العباسية ووصفها بأنها وقفت عاجزة في الدفاع عن المسلمين في كريت لاسيما وأن حكام كريت كانوا يدينون بالولاء للخلافة العباسية السنية.

على كل حال لم تفلح محاولات الفاطميين إن صدقت في فك الحصار عن أهل كريت، ودارت معركة بين المسلمين والبيزنطيين انتهت بانتصار البيزنطيين واستشهاد عدد كبير من المسلمين، بعد هذه الأحداث شدد نقفور فوكاس الحصار على الخندق، وفي نهاية الأمر نجحت القوات البيزنطية في اقتحام المدينة يوم الخميس ١٥ محرم من عام (٣٥٠هـ / ٩٦١م)، فقتلت وسبت العديد من المسلمين كان على رأسهم أمير كريت عبد العزيز بن عمر بن شعيب^(١)، كما قاموا بسلب الكثير من الغنائم وتخريب المساجد^(٢).

وبعد سقوط المدينة نجح البيزنطيون في السيطرة على باقي الجزيرة، وعادت مركزًا تجاريًا بيزنطيًا في البحر المتوسط^(٣)، لكن ماذا كان موقف المسلمين بعد سقوط جزيرة كريت في أيدي البيزنطيين؟

لم تذكر المصادر المتاحة أي رد فعل من قبل الخلافة العباسية أو الأمويين في الأندلس أو الفاطميين في المغرب أي رد فعل على سقوط جزيرة كريت أو أي محاولة للقيام باستردادها.

أما في مصر فيذكر الأنطاكي: أن رد فعل المصريين على سقوط كريت كان بتجمع عدد كبير من العوام والرعا على حد تعبيره وقيامهم بنهب وتخريب بعض الكنائس ولما زاد الأمر عن حده قام أحد القواد الإخشيدية مع جماعة من الغلمان وفرق الجموع وسكن الفتنة^(٤).

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٥.

(٣) عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ١٩٨.

(٤) تاريخ الأنطاكي: ص ٩٦.

وبالنسبة لسيف الدولة الحمداني فتذكر بعض المراجع: أن استيلاء البيزنطيين على جزيرة كريت قد أزعجه كثيرًا، وحاول جاهدًا أن يوجه ضربة للإمبراطورية البيزنطية قبل أن تفيق من نشوة النصر، ولذلك قام بتجهيز جيش كبير بلغ عدده حوالي ٣٠ ألف فارس^(١) وتوغل به داخل آسيا الصغرى حتى وصل إلى خرشنة^(٢)، ولكن الإمبراطورية البيزنطية لم تقف مكتوفة الأيدي، فدفعت ببعض القوات البيزنطية وكان على رأسها ليو فوقاس عم القائد البيزنطي نقفور فوكاس، وكان الهدف من دفع هذه القوات هو قطع خط الرجعة لسيف الدولة الحمداني، وبالفعل استطاع ليو فوقاس من سد طريق العودة على سيف الدولة وأنزل به هزيمة في ممر جبلي يعرف في المصادر البيزنطية باسم أندراسوس (Andrasos) خسر فيها سيف الدولة الكثير من جنوده بين قتيل وأسير إلا أنه استطاع أن ينجو مع من تبقى من جنوده^(٣).

لكن بالرجوع إلى بعض المصادر التاريخية: تبين أن غزوة سيف الدولة داخل أراضي الروم وإحرازه للعديد من الانتصارات واستيلاء على بعض المدن حتى وصل خرشنة سابقة الذكر، ثم هزيمته كانت عام (٣٤٩هـ / ٩٦٠م)^(٤) أي قبل استيلاء البيزنطيين على جزيرة كريت، وبالتالي فإن هذه الحملة لم تكن رد فعل من سيف الدولة على سقوط كريت.

(١) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٤٧.

(٢) بلد من بلاد الروم المقابلة للثغور الشامية وتقع قرب ملطية وبقيت زمنًا طويلًا في يد العرب غزاها سيف الدولة بن حمدان، وفيها أسر أبو فراس الحمداني وحمل بعد أسره إلي القسطنطينية (ياقوت البلدان: معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٥٩).

(٣) عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ١٩٨.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): دار التراث - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ج ١١ ص ٣٩١، الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٤.

وبالنسبة للبيزنطيين فبعد أن أرسل نقفور فوكاس نبأ الاستيلاء على الجزيرة إلى القسطنطينية تقبلته الجماهير بفرح بالغ، وحظى نقفور فوكاس بشعبية كبيرة، وأطلقوا عليه لقب الظافر، وقد أرسل إليه الإمبراطور يستدعيه إلى القسطنطينية للاحتفال بهذا النصر الذي تم على يديه، فلبى نقفور الدعوة^(١).

نقل نقفور فوكاس إلى الشرق ومواصلة حملاته.

بعد انتهاء الاحتفال الذي أقيم لنقفور فوكاس في العاصمة البيزنطية القسطنطينية بسبب نصره على المسلمين واسترده لجزيرة كريت، قام الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني (٣٤٨ - ٣٥٢هـ / ٩٥٩-٩٦٢م) بنقله إلى المشرق الإسلامي لمواصلة حملاته الناجحة ضد المسلمين، لاسيما وأن هذه المنطقة كانت ضمن نفوذ سيف الدولة الحمداني الذي جاهد كثيرًا ضد البيزنطيين بعد أن وقع على عاتقه عبأ الدفاع عن الثغور الإسلامية، وبالفعل قاد نقفور فوكاس العديد من الحملات الناجحة ضد المسلمين في إقليم قيليقية^(٢)، ونجح في الاستيلاء على بعض المدن الواقعة، وكانت حملاته في هذه المنطقة على النحو التالي:

- حملته على عين زربة^(٣) عام (٣٥٠هـ / ٩٦١م).

(١) إسمت غنيم: مرجع سابق: ص ٢٥٦.

(٢) قيليقية مقاطعة كبيرة في آسيا الصغرى، يحدها من الشمال والغرب جبال طوروس، ومن الجنوب البحر المتوسط، ومن الشرق جبال أمانوس (استارجيان: تاريخ الأمة الأرمنية: مطبعة الاتحاد - الموصل - ١٩٥١م ص ٢٠٣، ٢٠٤) واليوم هي منطقة جغرافية تاريخية تقع جنوب الأناضول على السواحل الجنوبية الشرقية من تركيا (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) عين زربة بلد بالشعر من نواحي المصيصة، وهي مدينة خصبة ذات زروع وثمار (مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ): حدود العالم من المشرق إلى المغرب: ترجمة وتحقيق/ السيد يوسف الهادي - الدار الثقافية - القاهرة ١٤٢٣هـ ص ١٧٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧٧) وتقع اليوم في محافظة أضنة في تركيا (موقع https://archiqoo.com/locations/anazarbus_ar.php).

ذكر الأنطاكي في حوادث عام (٣٥٠هـ): أن نقفور فوكاس نزل على عين زرية وحاصرها، فسار إليه نفير طرسوس مع واليها رشيق النسيمي^(١) والتقاها، وانهزم أهل طرسوس وقتل منها زهاء خمسة آلاف رجل، وأسر نحو أربعة آلاف، وعاد إلى عين زرية وفتحها بالأمان في ذي القعدة عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) وهدم سورها، وانتقل أهلها إلى طرسوس^(٢).

ويعطينا ابن الجوزي تفاصيل أكثر عن هذه الحملة والتي يذكرها في حوادث عام (٣٥١هـ) فيقول: أن الروم دخلوا عين زرية في مائة وستين ألف رجل، فطلب المسلمون الأمان فأمّنهم ملك الروم، فلما دخل البلد نادى في أول الليل بأن يخرج جميع الناس إلى المسجد الجامع، وأن من تأخر في منزله قتل. فخرج من أمكنه الخروج، فلما أصبح أنفذ رجاله، فمن وجدوه في منزله قتلوه، فقتلوا خلقًا من الرجال والنساء والأطفال، وأمر بقطع نخل البلد، ونادى فيمن حصل في الجامع أن يخرجوا حيث شاءوا وأن من أمسى فيه قتل، فخرج الناس مبادرين وتزاحموا في الأبواب، فمات بالضغط خلق كثير، ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يدرون أين يتوجهون، فمات أكثرهم في الطرقات، ثم أخذ الأسلحة والأمتعة، وأمر بهدم الجامع وكسر المنبر، وهدم سور البلد، والمنازل، وبقي مقيمًا في بلاد الإسلام واحدًا وعشرين يومًا، وفتح حول حصن زرية

(١) رشيق النسيمي. رجلًا من أهل طرسوس كان مقدمًا فيهم تولى إمارة طرسوس والنغور الشامية، وكان رشيق يغزو بأهل النغور وينكي في العدو نكايات يظهر أثرها ويتناقل خبرها، وفي عام (٣٥٤هـ) استولى على أنطاكية وفي عام (٣٥٥هـ) أراد الاستيلاء على حلب لكنه قتل في إحدى المعارك (ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٥٥، ابن العديم: بغية الطلب: ج ٨ ص ٣٦٥٧، ٣٦٥٨).

(٢) الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٦.

أربعة وخمسين حصناً، بعضها بالسيف وبعضها بالآمان، وقتل خلقاً كثيراً من المسلمين^(١).

يفهم من كلام ابن الجوزي: أن نقفور فوكاس قام بالعديد من الأفعال المشينة من قتل للرجال والنساء والأطفال وهدم للمساجد والمنازل وأسوار البلد. كما يفهم أن فوكاس بعد الاستيلاء على عين زربة قام بفتح العديد من الحصون التي حولها أو القريبة منها، وقد حدد ابن الجوزي عددهم بأربعة وخمسين حصناً دون أن يسمي أيّاً منهم، غير أن الأنطاكي ذكر بعض أسماء تلك الحصون فيقول: وفتح الروم حصن دلوک^(٢) ورعبان^(٣) ومرعش^(٤) في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، كما أغاروا على منبج^(٥)، وكان أميرها أبا فراس الحمداني^(٦)، ...

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ج ١٤ ص ١٣٩.

(٢) دلوک، بليدة من نواحي حلب بالعواصم (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٦١) ليس لها ترجمة اليوم.

(٣) رعبان، مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم، وهي قلعة تحت جبل (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٣ ص ٥١) لم أعثر لها على ترجمة حديثة.

(٤) سبقت الإشارة إليها.

(٥) منبج، بلد قديم من بلاد الروم، وهي مدينة كبيرة واسعة كان عليها سور مبني بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٠٦) واليوم هي مدينة في شمال شرق محافظة حلب شمال سوريا (موقع الموسوعة الحرة).

(٦) أبو فراس الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ/٩٣٢-٩٦٧م) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي، شاعر أمير، فارس، ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة، قاتل بين يدي سيف الدولة، وكان يحبه ويجله ويستصعبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، قلده منبج وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج ويتنقل في بلاد الشام. جرح في معركة مع الروم، فأسروه وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة. مات مقتولاً في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته عام (٣٥٧هـ) (ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٠٠م ج ٢ ص ٥٨-٦٠).

فأسروه وحملوه إلى القسطنطينية^(١)، كما استولوا على قلعة سيس^(٢) وهي من القلاع الحصينة القريبة من عين زربة^(٣). بعد أن استولى نقفور فوكاس على هذه المدن والحصون أدركه الصوم، فانصرف على أن يعود بعد العيد، وخلف جيشه بقيسارية^(٤). موقف الخليفة العباسي وسيف الدولة الحمداني.

لم تذكر المصادر المتاحة أي موقف للخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) تجاة البيزنطيين واستيلائهم على عين زربة والمدن والحصون التي حولها، وقد يكون السبب في ذلك من وجهة نظري: أنه في ذلك الوقت كانت الخلافة العباسية تعاني من التسلط البويهي ولم يكن للخليفة إلا النفوذ الديني فقط، أما سيف الدولة الحمداني والذي كان يقع على عاتقه عباً حماية الثغور الإسلامية في ذلك الوقت، فيبدو أن هزيمته الأخيرة على أيدي البيزنطيين عام (٣٤٩هـ/٩٦٠م) والتي خسر فيها الكثير من جنوده بين قتيل وأسير قد أضعفته ولم يكن بوسعها سوى البقاء في عاصمتها حلب والدفاع عنها.

وخلاصة القول: أن الروم بقيادة نقفور فوكاس استولوا على العديد من المدن والحصون الإسلامية بين عامي (٣٥٠، ٣٥١هـ/٩٦١، ٩٦٢م) بعضها

(١) الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٧، ابن الجوزي: المنتظم: ج ١٤ ص ١٤٠.

(٢) سيسيية أو سيس بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٣ ص ٢٩٧) اشتهرت في العصور الوسطى كعاصمة لمملكة قيليقيا الأرمنية. تقع أطلالها حالياً في بلدة قوزان بمحافظة أضنة بتركيا (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٥١.

(٤) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٣٧. وقيسارية، مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٢١) واليوم هي عاصمة محافظة قيسارية في تركيا (موقع الموسوعة الحرة).

بالسيف وبعضها بالأمان، وقتلوا العديد من الرجال والنساء والأطفال، دون أن يتحرك الخليفة العباسي أو سيف الدولة الحمداني لحماية هذه المدن والدفاع عنها.

كما يبدو أن هذه الحملات لم تكن للاستقرار بل كانت خاطفة تهدف إلى القتل والسلب والنهب وإشاعة الرعب والفوضى في بلاد المسلمين، أو ربما كانت ردًا على حملات سيف الدولة داخل الأراضي البيزنطية.

حملة نقفور فوكاس على حلب عام (٣٥١هـ/٩٦٢م)

بعد أن تمكن نقفور فوكاس من الاستيلاء على العديد من المدن والحصون الإسلامية كعين زربة وقلعة سيس ورعبان ومرعش ومنبج وغيرهم، واصل سيره عبر ممرات جبال الأمانوس^(١) للزحف نحو حلب عاصمة الدولة الحمدانية. ويذكر ابن الأثير: أن توجه نقفور إلى حلب كان على غرة، فلم يشعر به المسلمون، ويعلم ذلك بأنه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرت سابقاً، فلما انقضى صوم النصارى، خرج مع عسكره من البلاد، متوجهاً إلى مدينة حلب، فلم يعلم به سيف الدولة ولا غيره^(٢).

على كل حال: نزل نقفور فوكاس على مدينة حلب يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام (٣٥١هـ/٩٦٢م) فلم علم سيف الدولة بقدمه خرج إليه ببعض جنوده، فقاتله لكن لم ينتصر لقلّة من معه، فقتل أكثرهم، فانهزم سيف الدولة في نفر يسير، وظفر نقفور بداره، وكانت خارج مدينة حلب (تسمى الدارين) فاستولى على ما فيها من أموال ودواب وسلاح، وأمر بتخريبها، ثم أمر بضرب الحصار على حلب فقاتله أهلها من وراء السور، فقتل من الروم خلق كثير^(٣).

لم يمض وقت طويل في مقاومة أهل حلب لنقفور فوكاس وجيشه، إذ سرعان ما دخل الروم مدينة حلب، وكان السبب في ذلك: أن رجال الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس، وخانات التجار لينهبوها، فلحق الناس أموالهم ليمنعوها، فخلا السور منهم، فلما رأى الروم السور خاليًا من الناس، قصدوه وقربوا منه، فلم يمنعهم أحد، فصعدوا إلى أعلاه، فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين أهله، فنزلوا

(١) جبال الأمانوس هي سلسلة جبال تقع اليوم في جنوب تركيا، وتعدّ الحد الفاصل الشرقي بين محافظة هاتاي التركية وسوريا (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٣٧.

(٣) الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٩ ص، ابن الجوزي: المنتظم: ج ١٤ ص ١٤٠، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٣٨.

وفتحوا الأبواب، ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا، ولم يرفعوا السيف إلى أن تعبوا وضجروا^(١).

دخل نقفور فوكاس وجيشه حلب فقتلوا الكثير من الناس وأخذوا السلاح، وسبي من البلد ما يزيد على عشر ألف من الأسرى، وغنموا ما لا يوصف كثرة، فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة أمر فوكاس بإحراق الباقي، وأحرق المساجد، ثم أقام نقفور بحلب عدة أيام، وكانت سراياه تضرب في ظاهر المدينة وتسبي وتغنم، وقصد بعض الناس القلعة فتحصنوا بها، ولم يستطع نقفور الاستيلاء عليها، وقد تزود أصحابه من الأموال وصنوف المتاع والسلاح ما لا يحصى، ثم عاد إلى القسطنطينية^(٢).

ذكرت بعض المصادر^(٣) والمراجع الحديثة^(٤) أسباب عودة نقفور فوكاس إلى القسطنطينية وهو في أوج انتصاره، وقد كان بوسعه إسقاط الدولة الحمدانية والاستيلاء على العديد من بلاد المسلمين من هذه الأسباب:

أن نقفور عندما فشل في الاستيلاء على قلعة حلب قرر الارتداد عن المدينة، ولعل ذلك القرار يرجع إلى أنه اكتفى بإنزال الهزيمة بسيف الدولة، كما خشي أن يقوم سيف الدولة بهجوم مفاجئ لاسيما بعد أن شاع انحياز نجا غلام سيف الدولة إليه في قنسرين^(٥)، وقدوم بعض الإمدادات من دمشق لانقاذ حلب، إضافة

(١) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٣٨.

(٢) الأنطاكي: تاريخه: ص ٩٩ ص، ابن الجوزي: المنتظم: ج ١ ص ١٤٠، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٣٨.

(٣) ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ): زبدة الحلب في تاريخ حلب: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ص ٨٢.

(٤) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٥٩، ٤٦٠.

(٥) كانت من أهم مدن بلاد الشام، تقع قرب حلب فتحها أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه عام (١٧هـ) وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً ظلت قنسرين عامرة إلى أن خربها فوكاس عام (٣٥٥هـ) وأحرق مساجدها ولم تعمر بعد ذلك (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٠٣، ٤٠٤) واليوم هي موقع أثري سوري في هضبة حلب الجنوبية عبارة عن مدينة أثرية، يبعد الموقع حوالي ٤٠ كم عن مدينة حلب (موقع الموسوعة الحرة).

إلى ما أصاب جند نقفور من الإرهاق و التعب الذي نجم عن هذه الحروب الطويلة والعنيفة، بالإضافة إلى أن نقفور لم يصل إليه منذ زمن طويل أنباء البلاط البيزنطي وما يدبر فيه من مؤامرات ضده كقائد مظفر، فما أحرزه من انتصارات باهرة يكفي للتأمر ضده، كل هذه الأسباب مجتمعة حملت نقفور على أن يأمر جنده بالارتداد عن حلب بعد أن مكث فيها عدة أيام، فاكتفى بما حققه من انتصارات، ولعله كان عازماً على العودة مرة أخرى ويؤكد ذلك حديثه لأهل حلب قائلاً: "هذا البلد قد صار لنا، فلا تقصروا في العمارة، فإننا بعد قليل نعود إليكم" (١).

وخلاصة القول أنه للأسباب السابقة وغيرها أراد نقفور فوكاس الارتداد عن حلب وأن يكون قريباً من العاصمة، وأن يكون على اتصال ببعض العناصر بالقسطنطينية، فربما فكر وقتذاك في الوصول إلى عرش الإمبراطورية، لما اشتهر عن الإمبراطور رومانوس الثاني من الخفة والطيش، وما ترتب على ذلك من سخط الناس (٢).

على كل حال فقد اجتاز نقفور فوكاس وجنوده جبال أمانوس مرة أخرى عند عودتهم، وعبروا سهول قيليقية وجبال طوروس، وما كادوا يصلون إلى سيمانداو Simandoa بثغر قيليقية في عام (٣٥٢هـ) أواخر مارس (٩٦٣م) حتى وردت الأخبار بوفاة الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني (٣).

ويذكر البعض الآخر: أن ثيوفانو زوجة الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني أرسلت إلى نقفور فوكاس تطلعه على الأحداث التي وقعت بالعاصمة في

(١) مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم: تحقيق/ أبو القاسم إمامي - سروش - طهران - الطبعة الثانية ٢٠٠٠م ج ٦ ص ٢٣٧، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب: ص ٨٢، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٦٠.

(٢) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٥٢.

(٣) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٦٠، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

محاولة للاستعانة به لتحقيق آمالها في الاحتفاظ بالسلطة ونجحت ثيوفانو في ضم نقفور إلى جانبها^(١).

وفي رأيي:

أن رسالة ثيوفانو إلى نقفور فوكاس هي السبب الرئيسي في عودته إلى القسطنطينية، لأن الأسباب الأخرى التي ذكرها بعض المؤرخين قائمة على عدة احتمالات، وهي إرهاق وتعب جنود نقفور فوكاس، وبعض الإشاعات التي انتشرت بقدوم بعض الإمدادات من أهل دمشق ونجا غلام سيف الدولة، وما شاع في العالم الإسلامي من الدعوة للجهاد بسبب الاستيلاء على حلب، كل هذه الأسباب مع وجاهتها وقوتها، لم تكن تجعل نقفور فوكاس يعجل بالعودة إلى القسطنطينية، لاسيما بعد ما أحرز كل هذه الانتصارات، خصوصاً وهو القائد المحنك الذي كان يعلم جيداً أحوال العالم الإسلامي وما وصل إليه من ضعف، فالخليفة العباسي ليس له من السلطة إلا النفوذ الديني تحت تسلط البويهيين، إضافة إلى ضعف الإخشيديين في مصر ودخولهم في صراع مع الفاطميين في المغرب الذين كانوا يطمعون في الاستيلاء على مصر، وأخذوا يرسلون إليها الحملات الواحدة تلو الأخرى منذ عام (٣٠١هـ/٩١٤م) أما الأندلس فقد دخلت هي الأخرى في مرحلة الضعف والصراع الداخلي بين أفراد البيت الأموي بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) كما أنه يعلم تماماً أن العالم الإسلامي لم يحرك ساكناً بعد استيلائه على جزيرة كريت في البحر المتوسط عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) أما بالنسبة لتعب وإرهاق جنوده فكان يمكنه العودة إلى قيسارية والتي اتخذها قاعدة عسكرية حتى يريح جنوده لفترة من الوقت فراحة الجنود لا تستغرق أعواماً ولا شهوراً بل عدة أيام تكفي لراحتهم، أما بالنسبة لتخوفه من الإمدادات

(١) عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ١٩٩.

القادمة من دمشق، فلا أعتقد أن مثل هذه الإمدادات قد تكون سبباً في خوفه ورحيله عن حلب مهما بلغت عددها وقوتها، فكان بإمكانه التغلب عليها إما بطلب الإمدادات من القسطنطينية، أو بمقاومتها بعد إراحة جنوده فلا شك أن قدوم الإمدادات من دمشق قد تستغرق بعض الوقت الكافي لراحة جنوده أو بالمناورة أو بعض الأساليب الأخرى التي يجيدها القادة العظام أمثال نقفور فوكاس وغيره.

نقفور فوكاس إمبراطوراً للدولة البيزنطية (٣٥٢-٣٥٨هـ / ٩٦٣-٩٦٩م)

يرجع وصول نقفور إلى عرش الإمبراطورية البيزنطية إلى أن الإمبراطور رومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥٢هـ / ٩٥٩-٩٦٣م) ترك طفلين هما بازيل وقسطنطين فتولت أمهما ثيوفانو الوصاية عليهما، وكانت العلاقة قد توترت بين الأم وبرنجاس فور وفاة زوجها خوفاً على سلطتها فأرسلت كما أشرت سابقاً إلى القائد نقفور فوكاس للاستعانة به لتحقيق آمالها في الاحتفاظ بالسلطة، وما إن وصلت رسالة ثيوفانو بأنباء الإمبراطورية إلى نقفور فوكاس حتى ترك محاصرته لقلعة حلب على الفور وتقدم إلى القسطنطينية تحت شعار القائد المنتصر، ولكن برنجاس أحس بما كان يكنه نقفور وحاول منعه من دخول العاصمة، ولكن حب الشعب للقائد نقفور جعل برنجاس يقلع عن هذه الفكرة، وما إن دخل نقفور العاصمة حتى أصبح الرجل الأول في الإمبراطورية، يساعده في ذلك ما قدم للإمبراطورية من الأعمال الجليلة والصلات الوثيقة بينه وبين رجال الدين وبطريق القسطنطينية وإتسم عمل نقفور بعدم القدوم على أي عمل من شأنه إنقاص حقوق الإمبراطورين القاصرين^(١).

لم يستسلم برنجاس لتقلص نفوذه داخل الامبراطورية، وبدأ يتأمر على نقفور، واستعان ببعض قادة نقفور فوكاس أمثال كوركواس ويوحنا تريمسكس باذلاً لهم

(١) عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ١٩٩.

الكثير من الوعود السخية إذا أقدمنا على خيانة نقفور، لكن هذين القائدين عرفا بولائهما لفوكاس فلم يستجيبا لهذه الوعود، كما أن شخصية نقفور في هذه المرحلة كانت أقوى من الاغراءات، فأبلغه القواد ما ينويه برنجاس، وكان نقفور في بعض المهام العسكرية في مدينة قيصرية في آسيا الصغرى، وألح القواد على نقفور بسرعة التصرف وأشاروا عليه بالعودة الى القسطنطينية وعلمت قوات نقفور بما يحاك ضده فنادت به إمبراطوراً في قيصرية في عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م) وزحفوا معه إلى العاصمة لتتويجه، وقد صلت هذه الأخبار الى العاصمة، فترجم برنجاس ثورة ضد نقفور بعدما وضع أباه وأخاه رهينة عنده، واستمرت الثورة حوالي ثلاثة أيام دخل بعدها نقفور العاصمة التي تلطخت شوارعها بالدماء ليتوج إمبراطوراً شريكاً في السادس عشر من أغسطس عام (٩٦٣م) بعد ما أقسم بمراعاة حقوق الإمبراطورين القاصرين وبعد حوالي شهر تزوج من ثيوفانو وأصبح رجل الساعة الذي أُنقذ الإمبراطورية من الأخطار الخارجية ومن المؤامرات الداخلية^(١).

بعد أن تولى نقفور عرش الإمبراطورية أخذ يكافئ من ساعده، فجعل أباه قيصرًا، وعهد بالقيادة العليا إلى القائد يوحنا تريمسكس (ابن الشمشقيق) فنصبه دمستقًا بالشرق، أما ليو فوكاس شقيق نقفور فعينه دمستقًا على الغرب، أما برنجاس فتم عزله من الخدمة، وإنزاله بدير خارج القسطنطينية، فأمضى به ما تبقى من عمره حيث توفي عام (٣٦١هـ/٩٧١م)^(٢).

وبالعودة إلى الأوضاع في حلب بعد عودة نقفور فوكاس إلى القسطنطينية نجد أن سيف الدولة عاد إليها ودخلها في أواخر عام (٣٥١هـ/٩٦٢م) وعمر ما

(١) عمران: المرجع السابق: ص ٢٠٠، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٢) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٦٣، ٤٦٤.

خرب منها وجدد عمارة المسجد الجامع^(١) كما أعاد بناء عين زربة وأعاد إليه سكانه^(٢).

وتشير بعض المصادر: أن سيف الدولة تمكن من إعادة تنظيم قواته في عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م) وبدأ الحمدانيون غاراتهم على الأراضي البيزنطية عن طريق ثلاثة دروب مختلفة، فهاجم الطرسوسيون من ناحيتهم وتوغلوا حتى قونية^(٣) لكن أثناء عودتهم فوجئوا بالقوات البيزنطية قد احتلت الدروب، ولكن الطرسوسيين نجحوا في هزيمة البيزنطيين والخروج من الدرب بسلام، أما نجا غلام سيف الدولة فقد دخل الأراضي البيزنطية من درب آخر وواصل سيره حتى ملطية، واستمرت هجماته ما يقرب من ثمانية عشر يومًا. أما سيف الدولة فقد أقام على رأس أحد الدروب انتظارا لهجوم بيزنطي مضاد لأنه كان مريضًا في ذلك الوقت، ولم يعد إلى حلب إلا بعد أن عاد نجا والطرسوسيون^(٤).

أما عن رد فعل نقفور فوكاس والذي اكتسب شهرة كبيرة من هذه الحروب وأهله ليصبح إمبراطورًا للدولة البيزنطية، فلم يقف مكتوف الأيدي فأعد جيشًا قويًا بقيادة يوحنا تريمسكس (ابن الشمشقيق) الذي أصبح قائد قوات الإمبراطورية في الشرق، ومنذ ذلك الوقت بدأت سلسلة جديدة من الحملات البيزنطية على بلاد المسلمين بعد أن تربع فوكاس على عرش الإمبراطورية البيزنطية.

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٨٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٤١.

(٣) قونية كانت من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم (عاصمة سلاجقة الروم) وبها وبأقصرى سكنى ملوكهم (باقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٤١٥) واليوم هي مدينة ومحافظة في تركيا تحمل نفس الاسم، و فيها قبر المتصوف الشهير، جلال الدين الرومي (موقع الموسوعة الحرة).

(٤) مسكويه: تجارب الأمم: ج ٦ ص ٢٣٩، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٤٤.

حملات الإمبراطور نقفور فوكاس على بلاد المسلمين في الشرق.

١- حملة (ابن الشمشقيق) عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م).

بعد أن ارتقى نقفور فوكاس عرش الإمبراطورية البيزنطية واصل ارسال حملاته على بلاد المسلمين فأعد حملة قوية بقيادة يوحنا تزيمسكس (ابن الشمشقيق) الذي اخترق وجنوده قبليقية حتى وصل إلى مدينة المصيصة^(١) عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م) فحاصروها وقتلوا أهلها، ونقبوا سورها، غير أن أهلها ضربوا أروع الأمثلة في الدفاع عن مدينتهم وقتلوا قتالاً شديداً حتى صمدوا أمام البيزنطيين الذين تركوها وساروا إلى مدينة أذنة للسيطرة عليها، وقد أسرع أهل طرسوس لمساعدة أذنة إلا أن هزيمة المسلمين كانت قاسية وقتل الكثير من أهل أذنة وطرسوس، وفر الباقيون إلى تل بالقرب من أذنة فأحاط بهم البيزنطيون وقضوا عليهم. أما من بقي من أهل أذنة فقد فروا إلى المصيصة^(٢).

اتجه ابن الشمشقيق بعد ذلك إلى المصيصة مرة أخرى وحاصرها أياماً ونقب سورها، إلا أنه لم يستطع الاستيلاء عليها لقلّة المؤن لديه، ووقوع الوباء في قواته، كما أن سيف الدولة على الرغم من مرضه إلا أنه سار على رأس قواته بعد أن انضمت إليه بعض القوات الوافدة من خراسان لمواجهة ابن الشمشقيق، فاضطر البيزنطيون إلى رفع الحصار قبل وصول سيف الدولة، بعد أن أحرق وخرب ما حواليتها، وسبى وقتل منه ومن هذه البلدان ما يكثر عدده، ولم يستطع سيف الدولة ملاحقة القوات البيزنطية وغزو بلادهم بسبب مرضه من ناحية والغلاء الناشب في الثغور وبلاد الشام من ناحية أخرى، فعاد

(١) المصيصة، مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس كانت ثغراً مشهوراً من ثغور الإسلام (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ١٤٥) واليوم تقع أطلالها بالقرب من مدينة أضنة بتركيا (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٠٥، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٤٨، ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٨٣.

الخراسانيون إلى بلادهم، وتذكر المصادر: أن ابن الشمشقيق قال قبل انصرافه عن المصيصة: "يا أهل المصيصة، أني منصرف عنكم لا لعجز عن فتح مدينتكم، ولكن لضيق العلوفة، وأنا عائد إليكم بعد هذا الوقت، فمن أراد منكم الهرب فليهرب قبل رجوعي، فمن وجدته قتلته^(١)."

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على حالة الخزي والضعف التي أصابت المسلمين في هذا الوقت، وليس على قوة ابن الشمشقيق وجيشه.

٢- حملات الإمبراطور نقفور فوكاس خلال المدة (٣٥٣-٣٥٨هـ / ٩٦٤-٩٦٩م).

بعد أن تولى نقفور فوكاس عرش الإمبراطورية البيزنطية لم يخلد إلى الدعة والراحة، ومباشرة أمور الدولة والحملات الموجهة ضد المسلمين وغيرهم من داخل القصر، بل كان يقود الحملات بنفسه ففي عام (٣٥٣هـ / ٩٦٤م) عاد على رأس جيشه إلى بلاد المسلمين في الشرق فحاصر أذنة، وكان أهلها قد هربوا منها إلى المصيصة، فاتجه إليها وحاصرها مدة تزيد عن خمسين يوماً، وسراياه تضرب إلى حلب وأنطاكية، لكنه عاد إلى قيسارية لشدة الغلاء، ولانتشار الوباء في المصيصة، وفي طرسوس^(٢).

وفي عام (٣٥٤هـ / ٩٦٥م) قسم الإمبراطور فوكاس جيشه إلى قسمين، تولى بنفسه قسم وتوجه به إلى المصيصة فحاصرها، ثم فتحها بالسيف يوم الخميس إحدى عشرة ليلة خلت من رجب عام (٣٥٤هـ / ٩٦٥م) فقتل منهم مقتلة عظيمة، وهرب بعض الناس من المصيصة إلى كفريباً^(٣)، وملك الروم المصيصة، ووقع القتال على الجسر الذي بين المصيصة وكفريباً وانهمز

(١) مسكويه: تجارب الأمم: ج ٦ ص ٢٤٢، الأنطاكي: تاريخه: ص ١٠٥، ابن الجوزي:

المنتظم: ج ١٤ ص ١٥٥، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٤٨.

(٢) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٠٥، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٥٠.

(٣) كفريباً هي مدينة كبيرة بإزاء المصيصة على شاطئ جيحان (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٦٨).

المسلمون، وملك الروم كقريباً، وساقوا بعض أهل المصيصة إلى بلاد الروم، واجتازوا بهم إلى طرسوس حتى نظرهم أهلها^(١).

أما القسم الآخر من الجيش فقد تولى قيادته شقيقه ليو فوكاس وتوجه به إلى طرسوس وظل محاصراً لها حتى قدم إليها نقفور فوكاس، وكان فيها رشيق التسمي^(٢)، ولم تحتل المدينة شدة الحصار فاستسلمت لنقفور وجيشه والتمس أهلها الأمان فأمنهم وسلّموا له المدينة يوم الأربعاء الخامس عشر من شعبان من عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، وأحسن إلى أهلها، وتذكر بعض المصادر أن نقفور جعل المسجد الجامع بطرسوس اصطبلًا لدوابه ونقل ما كان فيه من قناديل إلى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقاً من بطارقتة في خمسة آلاف رجل، وقلد المصيصة بطريقاً آخر وتقدّم بعمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة إليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز بها رطلين بدانق فتراجع أهلها إليها ودخلوا في طاعة الإمبراطور فوكاس وتنصّر بعضهم، وعمل فوكاس على أن يجعلها حصناً ومعقلاً له لحصانتها وليقرب عليه ما يريد من بلدان الإسلام^(٣).

ويبدو لي: أن نقفور فوكاس أراد تجريد طرسوس من طابعها الإسلامي، فتحويل المسجد إلى اصطبل لدوابه وتعيين والياً بيزنطياً عليها، وطرد سكانها المسلمين واستيطان الأرمن بدلاً من المسلمين، فكل هذه الأفعال تدل على ذلك.

(١) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٠٧، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٥٤.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم: ج ٦ ص ٢٥١، الأنطاكي: تاريخه: ص ١٠٧، ابن الأثير:

الكامل: ج ٧ ص ٢٥٤، ٢٥٥.

وهكذا عادت منطقة قيليقية إلى السيادة البيزنطية، بعد أن ظلت زهاء ثلاثة قرون متتالية قاعدة برية وبحرية تنطلق منها جيوش العرب وأساطيلهم موجهة ضد الإمبراطورية البيزنطية، وتحولت إلى ثغر بيزنطي عاصمته طرسوس^(١).
وكالعادة لم يحرك العالم الإسلامي ساكنًا لوقوع هذه المدن في أيدي فوكاس باستثناء كافور الإخشيدي حاكم مصر، كما ذكرت بعض المراجع: فقد وجه أسطولاً مصرياً يحمل المؤن لأهل طرسوس، ولكن القوات البيزنطية حالت دون وصول هذه الإمدادات، حيث تعرضت لضربات السفن البيزنطية^(٢)، وبعد أن استولى نقفور فوكاس على هذه البلدان، وعين عليها ولاة من قبله عاد إلى القسطنطينية^(٣).

وفي صيف عام (٣٥٥هـ/٩٦٦م) توقفت الحرب بين الطرفين لبعض الوقت والتمس سيف الدولة من الإمبراطور نقفور المفاداة بمن عنده من المسلمين وبمن عنده أسرى من الروم، فأجابته إلى ذلك، وأقيم الفداء أعلى شاطئ نهر الفرات في يوم الخميس مستهلّ رجب عام (٣٥٥هـ) وتم تبادل للأسرى بينهم، وكان من ضمن الأسرى العديد من البيت الحمداني منهم الشاعر أبي فراس الحمداني، بعد أن قضى ما يقرب من أربع سنوات أسيراً لدى البيزنطيين^(٤).

بعد أن تم الفداء بين الطرفين لم يلبث الإمبراطور نقفور فوكاس أن تقدم إلى أعالي نهر الفرات فتوجه إلى آمد^(٥) فاستولى عليها، وقتل وأسر عددًا كثيرًا، ثم

(١) أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب: دار المكشوف - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٥٦م ج ٢ ص ٤١.

(٢) عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ٢٠١.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٥٤.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم: ج ٦ ص ٢٥٩، الأنطاكي: تاريخه: ص ١١٣، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ٢٠١.

(٥) أعظم مدن ديار بكر بالجزيرة الفراتية، وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا. فتحت آمد عام (٢٠هـ) على يد عياض بن غنم بعد ما افتتح الجزيرة فنزل عليها وقاتله أهلها، ثم صالحوه=

انصرف إلى دارا^(١) وقرب من نصيبين^(٢)، وهرب أهلها خوفاً من البيزنطيين كما استولى جنوده على قافلة واردة من ميفارقين^(٣).

بعد ذلك توجه نقفور فوكاس نحو الشام، فنزل على منبج وأكرم أهلها، ولم يعرض لهم بمكروه، ورحل عنها إلى وادي بطنان^(٤) وأخذ عدد كبير من الأسرى، وجاءت سرية بيزنطية إلى بالس^(٥) وأخذت من المدينة زهاء ثلاثمائة

=عليها (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ٥٦)، وأمد من الحصون القديمة التي تداولتها الدول وكثر ذكرها في الحروب المتتابعة بين الفرس والروم، ثم بين الروم والعرب ولا سيما الحمدانيين منهم ثم بين المسلمين والصليبيين. توالى عليها السلاجقة والأيوبيون والأرتقيون والصفويون حتى وقوعها بيد السلطان العثماني سليم الأول عام (١٥١٥م) وقد أصبحت المدينة منذ ذلك الحين تعرف في الكتابات الرسمية باسم ديار بكر وهي اليوم أكبر مدينة في جنوب شرق تركيا وهي العاصمة الإدارية لمحافظة تحمل نفس الاسم (ديار بكر) (موقع الموسوعة الحرة).

(١) دارا، بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة الفراتية (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٤١٨)، واليوم تحتل قرية أغوز (Oğuz) التركية في مقاطعة ماردين، موقعها (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٨٩) كانت نصيبين محطة قوافل ومركز تجاري مرموق، وهي اليوم بلدة صغيرة في جنوب شرقي تركيا، تضم الكثير من المعالم التاريخية (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) الأنطاكي: تاريخه: ص ١١٥، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٦٤.

(٤) وادي بطنان يقع بين منبج وحلب (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ٤٤٧) واليوم يسمى نهر الذهب أو وادي الذهب وهو نهر منقطع في شمال سوريا، يقع على هضبة حلب في الجزء الشرقي من محافظة حلب (موقع الموسوعة الحرة).

(٥) بالس، بلدة بالشام بين حلب والرقة (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ٣٢٨) وهي اليوم قرية سورية تتبع ناحية محمبل في منطقة أريحا في محافظة إدلب (موقع الموسوعة الحرة).

نفس، ثم سار نقفور إلى قنسرين، وعاد ونزل على تيزين^(١) ففتحها وسبى أهلها، وفتح حصن أرتاح^(٢)، وعبر إلى أنطاكية ونزل عليها وحاصرها وأرسل إلى أهلها في أن يسلموا إليه المدينة ويؤمنهم على أنفسهم وأهاليهم وأموالهم، وأن يوصلهم إلى حيث أحبوا آمنين، ولا يحوجوه إلى مقاتلتهم، فلم يجيبوه إلى ما عرضه عليهم، فظل يحاربهم سبعة أيام، حتى قلت المؤن معه ولم ينجح في فتحها، فرحل في اليوم الثامن من نزوله عليها، بعد أن خرب بلدها ونهبوه، وعاد جنوده إلى طرسوس بينما عاد نقفور إلى القسطنطينية^(٣). ولم تذكر المصادر سبب عودة نقفور إلى القسطنطينية، بينما ذكرت بعض المراجع أن سبب يرجع إلى قضية البلغار^(٤).

(١) تيزين أو توزير: كورة وبلدة بالعواصم من أرض حلب (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٥٨) وهي اليوم قرية سورية تتبع مركز حماة في محافظة حماة (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) حصن أرتاح حصن منيع، كان من العواصم من أعمال حلب (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ١ ص ١٤٠) لم أعثر لهذا المكان على ترجمة حديثة.

(٣) الأنطاكي: تاريخه: ص ١١٦، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٦٤.

(٤) كان هناك صراع طويل بين الإمبراطورية البيزنطية والبلغار، وفي عهد الإمبراطور رومانوس ليكابينوس وقع بطرس البلغاري معه معاهدة تقضي بقيام الإمبراطورية البيزنطية بدفع جزية سنوية للبلغار، وظل الحال كذلك حتى عهد نقفور فوكاس، ولما كانت بلغاريا تعاني من الانقسامات الداخلية، واستقلال بعض الاقطاعيين بما تحت أيديهم من أراضي، رأى نقفور استغلال هذه المواقف لصالحه والامتناع عن دفع الجزية، وكانت الحجة التي تدفع بها نقفور لوقف الجزية هي عبور بعض البلغار لنهر الدانوب ودخولهم الأراضي البيزنطية، وعندما كان يحاصر أنطاكية عام (٣٥٥هـ/٩٦٧م) قدم مندوبوا البلغار لأخذ الجزية فترك نقفور الحصار ليعود إلى القسطنطينية لمقابلة وفد البلغار مقابلة مهينة ويقوم بطردهم من العاصمة، ولما كان نقفور مشغولا بحروبه في الشرق فاستعان بالروس لايقاف خطر البلغار فترة من الوقت، ولكن بعد وفاة بطرس ملك البلغار وقعت حروب أهلية داخل البلاد فكفلت لنقفور الراحة لبعض الوقت فعاود حملاته على الشرق (عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ٢٠٢، ٢٠٣) أما البلغار سموا بذلك نسبة إلى مدينة يسكنونها =

وبعد هذه الأحداث وفي عام (٣٥٦هـ/٩٦٧م) توفى سيف الدولة الحمداني بعد حياة حافلة بالجهاد ضد البيزنطيين، وكان البيزنطيون قد تمكنوا من القضاء على مقاومة سيف الدولة في سنواته الأخيرة، فنجحوا في فصل الثغور وقيليقية عن الإمارة الحمدانية والاستيلاء على بعض المدن، وبعد وفاة سيف الدولة ملك البلاد بعده ابنه أبو المعالي شريف الملقب بسعد الدولة (٣٥٦-٣٨١هـ/٩٦٧-٩٩١م)^(١).

وفي خريف عام (٣٥٧هـ/٩٦٨م) عاود الإمبراطور نقفور فوكاس القيام بحملاته على بلاد المسلمين في الشرق، فسار إلى نواحي حلب، فحاصرها وفيها سعد الدولة، ويبدو أن قرغويه^(٢) حاجب سيف الدولة جاء ببعض العسكر لنجدة حلب، لكنه وقع في أسر البيزنطيين، ثم أفلت منهم، وانهمز أصحابه، وأسر البيزنطيون جماعة من غلمان سيف الدولة^(٣).

ترك الإمبراطور نقفور فوكاس حلب دون أن يستولى عليها وتوجه إلى معرة النعمان^(٤) فاستولى عليها وخرّب جامعها وأكثر دورها، وكذلك فعل بمعرة مصرين^(٥) ولكنه أمن أهلها من القتل، وكانوا ألفا ومائتي نفس، وأسرهم،

=شمال بحر القرم، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية، وكان غالبهم نصارى فأسلم بعضهم (ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي: دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ج ١ ص ٧٩).

(١) الأنطاكي: تاريخه: ص ١١٧، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) ورد اسمه قرغوية وقرغويه (الأنطاكي: تاريخه: ص ١٠٨، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٧١، ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٨٦).

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٩٢.

(٤) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحمص (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ١٥٦) وهي اليوم مدينة سورية تقع جنوبي محافظة إدلب وهي ثاني أكبر مدينة فيها بعد مدينة إدلب مركز المحافظة، تبعد عن مدينة حلب ٨٤ كم وعن مدينة حماة ٦٠ كم (موقع الموسوعة الحرة).

(٥) مَعْرَةُ مَصْرَيْنَ: بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ١٥٥) وهي اليوم بلدة سورية في منطقة مركز إدلب بمحافظة إدلب (موقع الموسوعة الحرة).

وسيرهم إلى بلاد الروم، ثم سار إلى كفر طاب^(١)، وشيزر^(٢)، وأحرق جامعها، ثم إلى حماة^(٣) ففعل كذلك، ثم إلى حمص^(٤)، فأحرق جامعها وصلّى بكنيستها، ثم سار إلى عرقة^(٥) ففتحها وأسر أهلها، ثم اتجه إلى طرابلس^(٦) وكان أهلها قد أحرقوا ربيضها، فانصرف إلى جبلة^(٧) ففتحها، ومنها إلى اللاذقية فسلم إليه أهلها^(٨).

- (١) كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٧٠) وهي اليوم حصن ومدينة أثرية تقع غرب خان شيخون في محافظة إدلب (موقع الموسوعة الحرة).
- (٢) شيزر قلعة وكورة بالشام قرب المعرة (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٣ ص ٣٨٣) وهي اليوم بلدة سورية تتبع ناحية مركز محررة في محافظة حماة (موقع الموسوعة الحرة).
- (٣) حماة: مدينة عظيمة كبيرة عليها سور، تقع على جانب نهر العاصي، وفي طرف المدينة قلعة حصينة كانت حماة من أعمال حمص (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٠٠) وهي اليوم مدينة ومحافظة تحمل نفس الاسم [حماة] (موقع الموسوعة الحرة).
- (٤) حمص: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٠٢) وهي اليوم مدينة سورية، تعتبر ثالث أكبر مدن البلاد من حيث عدد السكان، بعد دمشق وحلب، تقع على الضفة الشرقية لنهر العاصي (موقع الموسوعة الحرة).
- (٥) عرقة، بلدة من العواصم شرقي طرابلس، وهي آخر عمل دمشق (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ١٩٠) وهي اليوم قرية بالقرب من منيارة في قضاء عكار في المحافظة الشمالية في لبنان، على بعد ٢٢ كم شمال شرق طرابلس، بالقرب من الساحل (موقع الموسوعة الحرة).
- (٦) طرابلس أو أطرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٤ ص ٢٦) وتسمى حاليًا طرابلس الشام أو طرابلس الشرق، تمييزًا لها عن طرابلس العاصمة اللبنانية، وهي اليوم مدينة لبنانية عاصمة محافظة الشمال تكتن بالفيحاء، وتعد ثاني أكبر مدن لبنان بعد العاصمة بيروت (موقع الموسوعة الحرة).
- (٧) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٢ ص ١٠٥) وهي اليوم مدينة ومركز منطقة جبلة في محافظة اللاذقية في شمال غرب سوريا تطل المدينة على البحر المتوسط، وتبعد مسافة ٢٥ كم جنوب اللاذقية (موقع الموسوعة الحرة).

(٨) ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٩٢، ٩٣، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ٢٠١.

وتذكر بعض المراجع: أن الإمبراطور نقفور فوكاس أبقى في جميع هذه المدن حاميات من الروم^(١).

بعد أن استولى نقفور على هذه المدن توجه إلى أنطاكية فشدد عليها الحصار، لكن لطول الحصار ونقص المؤن وسوء المناخ اضطر نقفور للعودة إلى القسطنطينية تاركًا أمر حصار أنطاكية لابن أخيه بطرس فوكاس المعروف في بعض المصادر العربية باسم الطريزي^(٢)، وقد عينه نقفور قائدًا عامًا وأوصاه بوجوب انتظاره وعدم اقتحام أنطاكية قبل عودته^(٣).

لكن كان لنصارى أنطاكية رأى آخر فقد اتصلوا ببطرس فوكاس قائد البيزنطيين وأخبروه بأن الفوضى وقعت في صفوف المسلمين، فاندفع بطرس للاستيلاء عليها، وقام مع بعض رجاله بتسليق الأسوار، فلم يروا عليها أحد، ونجحوا في الدخول إلى أنطاكية وفتح أبوابها، ومن ثم الاستيلاء عليها بالكامل، وكان ذلك يوم الخميس ١٣ ذي الحجة عام (٣٥٨هـ) الموافق ٢٨ من تشرين الأول عام (٩٦٩م) ودخلوا المدينة فأحرقوا وأسروا، وقد حاول أهل أنطاكية المقاومة بطرس وجنوده، فأشعلوا النيران لتحول بينهم وبين البيزنطيين، وفتحوا باب البحر، وخرج منه جماعة من أهلها، لكن لم تجد محاولتهم فأسر البيزنطيون جميع من فيها وأطلقوا من كان بها من النصارى، وأقرّوهم فيها^(٤). وهكذا سقطت أنطاكية بعد أن ظلت عربية إسلامية لمدة تزيد على ثلاثة قرون^(٥).

(١) أسد رستم: الروم: ص ٤٢.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٩٤، ٩٥.

(٣) أسد رستم: الروم: ص ٤٢.

(٤) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٣٤، ١٣٥، ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٩٤، ٩٥.

(٥) أسد رستم: الروم: ص ٤٢.

وفي تلك الأثناء كان الإمبراطور نقفور فوكاس قد أرسل جيشاً إلى ملاذكرد^(١) في عام (٩٦٩هـ/٣٥٩م)، فحاصروها، وضيقوا على من بها من المسلمين، وملكوها عنوة وقهراً^(٢).

سقوط حلب عام (٩٦٩هـ/٣٥٩م).

أصبحت حلب بعد سقوط أنطاكية هي الهدف المباشر لنقفور فوكاس، أما سعد الدولة الحمداني فإنه لما علم بسقوط أنطاكية ترك حلب وانتقل إلى حمص تاركاً قرغويه يدير شئون حلب^(٣).

على كل حال: عاد نقفور فوكاس من القسطنطينية ليجد حماس الجند يدفعه نحو حلب، فاستغل هذا الحماس وتوجه نحو حلب للإستيلاء عليها، فتحصن أهلها في القلعة، ونازل الروم المدينة وحاصروها سبعة وعشرين يوماً، وترددت المراسلات بينه وبين أهلها، إلى أن تقرّر الأمر على صلح وهدنة مؤبّدة، عقدها معهم صاحبها قرغويه وكان من شروطها:

١- اعتراف قرغويه بسيادة البيزنطيين وتعيينه والياً عليها على حلب.

٢- رفع الجزية عن المسيحيين.

٣- أن يتم دفع جزية على كل مسلم قرها دينار واحد في السنة سوى ذوي العاهات.

٤- أن يحمل المال إلى الإمبراطور البيزنطي في كل سنة عن البلاد التي وقعت الهدنة عليها وهي حمص وجميع أعمالها من المدن والقرى، وهو ثلاثة

(١) منازلرد، وأهله يقولون منازلرد بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعدّ في أرمينية وأهله أرمن وروم (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٠٢) وفي هذا المكان كانت معركة ملاذكرد الشهيرة عام (٤٦٣هـ/١٠٧١م) بين السلاجقة والدولة البيزنطية، واليوم مدينة ملاذكرد تقع في محافظة موش التركية (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٩١.

(٣) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٣٥، ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٩١.

- قناطير ذهب عن حق الأرض، وسبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال، وعن كل رجل حالم دينار واحد في السنة.
- ٥- أن يكون لملك الروم صاحباً مقيماً بحلب يستخرج أعشار الأمتعة الواردة إليها من البلاد.
- ٦- أن يكون الأمير على المسلمين في حلب هو قرعويه، والأمر من بعده ليكجور^(١)، وبعدهما ينصب ملك الروم أميراً يختاره من سكان حلب، وليس للمسلمين أن ينصبوا أحد.
- ٧- إن ورد عسكر إسلامي يريد غزو الروم منعه قرعويه، ولو بالقوة، وإن عجز عن دفعه كاتب ملك الروم لينفذ إليه من يدفعه.
- ٨- إن غزا الروم غير ملة الإسلام سار إليه الأمير بعسكره، وغزوا معه كما يأمر.
- ٩- أي مسلم يدخل في دين النصرانية فلا سبيل للمسلمين عليه، ومن دخل من النصارى في ملة الإسلام فلا سبيل للروم عليه.
- ١٠- للروم أن يعمرؤا الكنائس الخربة في هذه الأعمال، ويسافر البطارقة والأساقفة إليها، ويكرمهم المسلمون.
- ١١- إن دخل رومي إلى بلاد المسلمين لم يمنع حاجته.
- ١٢- إن دخل من بلد الاسلام جاسوس إلى بلد الروم أخذ وحبس.
- إضافة إلى بعض الشروط الأخرى، وقد تمت هذه المعاهدة في صفر (٣٥٩هـ/٩٦٩م)^(٢).

(١) بكجور أبو الفوارس التركي مولى قرعويه أحد غلمان سيف الدولة ولي إمرة حمص ثم دمشق قتل في حلب عام (٣٨١هـ) (الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات: تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ج ١٠ ص ١٢٧).

(٢) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٣٦، ابن العديم: زبدة الحلب: ص ٩٥-٩٧.

وباستيلاء الإمبراطور نقفور فوكاس على حلب يكون قد سيطر على معظم البلدان الشامية التي ظلت فترة طويلة تخرج منها الحملات الإسلامية لمقاومة البيزنطيين.

وبالنظر إلى هذه الشروط نجد فيها من الذل والهوان ما الله به عليم، فقد كانت أشبه بمعاهدة حماية وتبعية لبيزنطة، وهي تظهر حالة الضعف والفتن الداخلية والمنازعات على العروش والسلطة التي سادت العالم الإسلامي آنذاك، والذي لم يحرك ساكنًا لاستيلاء نقفور فوكاس على كل هذه المدن ولا حتى سقوط حلب عاصمة الحمدانيين، ولذلك عرف هذا العصر بالنسبة للبيزنطيين بالعصر الذهبي^(١).

ومن وجهة نظري: فإن هذا اللقب الذي أطلق على هذا العصر يرجع إلى ضعف العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وليس إلى قوة الدولة البيزنطية التي كانت تعاني من المؤامرات الداخلية، إضافة إلى مشاكلها الخارجية مع المسلمين وغيرهم.

وإذا أردنا أن نقيم هذه الحملات فيمكننا القول: بأن حملات نقفور فوكاس الأولى قبل توليه عرش الإمبراطورية داخل البلاد الشامية كانت حملات خاطفة هدفها تهدف إلى السلب والنهب وإشاعة الفوضى والخوف في بلاد المسلمين، وربما ردًا على حملات سيف الدولة والتي توغل فيها داخل الأراضي البيزنطية، ويؤكد ذلك أن فوكاس لم يبق في أي من تلك المدن، ولم يعين عليها ولاية من قبله، أو يبق فيها حاميات بيزنطية، بل اكتفى بالقتل والنهب، وقد كان أكبر إنجاز له خلال هذه الفترة استيلائه على جزيرة كريت في البحر المتوسط عام (٣٥٠هـ/٩٦١م).

(١) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٣٢٧.

وهذا الجدول يبين حملات نقفور فوكاس القائد خلال الفترة

(٣٤٩-٣٥٢هـ / ٩٦٠-٩٦٣م)

المكان	العام
جزيرة كريت	(٣٤٩هـ / ٩٦٠م)
عين زربة	(٣٥٠هـ / ٩٦١م)
دلوك، رعبان، مرعش، منبج، قلعة سيس، وغيرها العديد من المدن والحصون	(٣٥١هـ / ٩٦٢م)
حلب	(٣٥١-٣٥٢هـ / ٩٦٢-٩٦٣م)

أما حملاته بعد توليه عرش الإمبراطورية، فقد حقق فوكاس ما يصبو إليه من السيطرة على معظم بلدان المسلمين في الشرق، واتسمت هذه الحملات بالاستقرار نوعاً ما، فقد عين على بعض البلدان ولاية بيزنطيين كطرسوس والمصيصة، وأبقى فيها حاميات بيزنطية، وفي حلب أبقى على قرعويه والياً عليها بعد أن أعلن ولاءه لهم وأقر بسيادتهم، وقبل شروطهم.

وهذا الجدول يبين حملات نقفور فوكاس الإمبراطور خلال الفترة

(٣٥٣-٣٥٨هـ / ٩٦٤-٩٦٩م).

المكان	العام
المصيصة، أدنة	(٣٥٣هـ / ٩٦٤م)
المصيصة، كفريا	(٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
طرسوس	(٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
آمد، دارا، منبج، وادي بطنان، بالس، تيزين، حصن أرتاح	(٣٥٥هـ / ٩٦٦م)
معرة النعمان، معرة مصرين، كفر طاب، وشيزر، حماة، حمص، عرقة، طرابلس، جبلة، اللاذقية .	(٣٥٧هـ / ٩٦٨م)
أنطاكية	(٣٥٨هـ / ٩٦٩م)
ملانكرد	(٣٥٩هـ / ٩٦٩م)
حلب	(٣٥٩هـ / ٩٦٩م)

ازدياد هيبة الإمبراطور نقفور فوكاس عند المسلمين.

ذكر الأنطاكي: أن الإمبراطور نقفور فوكاس ازدادت هيبة في نفوس المسلمين لكثرة ما استولى عليه من بلادهم، فقد استولى على معظم بلاد الشام، فكان يخرج إليها، فيغزوها ويحرقها ويسبي أهلها ومواشيها، وإذا بلغ وقت الحصاد للزرع خرج وأحرق جميع الغلات، وترك أهل المدن يموتون جوعاً، وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة إلى أن تدفعهم الضرورة إلى تسليم المدن إليه، فملك بذلك الثغور الشامية بأسرها والثغور الجزرية، وقتل من أهلها وسبى ما لا يحيط بعدده إلا الله حتى كانت غزواته قد صارت كالنزهة له ولأصحابه، فكان يقصدهم حيث يشاء ويخرب كيف أراد من غير أن يلقاه أحد من المسلمين يدافعه عما يريد، وقصد العرب دفعات فاستظهر عليهم، فهابوه وامتنعوا من الدنوّ منه، وهابه المسلمون أكثر هيبة، ولم يكن يقف بين يديه أحد ولا تحدّ به نفسه بأن يجوز له أن يكتب إليه، فضلاً عن أن يقاومه^(١).

ويقول ابن الأثير عن البيزنطيين حينما استولوا على ملاذكرد عام (٣٥٩هـ): "وعظمت شوكتهم، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد، وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون أيها شاءوا"^(٢).

كما يشير إلى أطماعه فيقول: "وجعل نقفور همته قصد بلاد الإسلام والاستيلاء عليها، وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض، فدوخ البلاد وكان قد بنى أمره على أن يقصد سواد البلاد فينهبه ويخربه، فيضعف البلاد فيملكها، وغلب على ثغور الجزرية والشامية وسبى، وأسر ما يخرج عن الحصر، وهابه المسلمون هيبة عظيمة، ولم يشكوا في أنه يملك جميع الشام، ومصر، والجزيرة وديار بكر لخلو الجميع من مانع، فلما استفحل أمره أتاه أمر الله من حيث لم يحتسب"^(٣).

(١) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٩١، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٨٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج ٧ ص ٢٩٤، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٨٩.

وينقل بعض المؤرخين المحدثين عن المؤرخ اليوناني ليو الشماس الذي كان معاصرًا للأحداث قوله عن نقفور فوكاس: "لو لم يلق نقفور مصرعه، لاستطاع أن يمد أطراف دولتهم (البيزنطيين) إلى الهند شرقًا، وإلى تخوم الأرض غربًا، أي إلى المحيط الأطلسي"^(١).

لا شك أن أقوال المؤرخين هذه تبين مدى أطماع نقفور فوكاس في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا، وفي حقيقة الأمر: فإن نقفور فوكاس حقق ما لم يحققه غيره من البيزنطيين في بلاد المسلمين سواء أكانوا قادة أم أباطرة على مدار تاريخهم الطويل مع المسلمين منذ عهد هرقل في عصر النبي ﷺ، وحتى سقوط القسطنطينية عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م).

وهذا الأمر قد دفع بعض الباحثين إلى القول: بأن حملات نقفور فوكاس على بلاد المسلمين كانت نوعًا من الحملات الصليبية، فيقول عن المعارك التي وقعت في منطقة الثغور بين الحمدانيين والبيزنطيين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأنها معارك طاحنة خاضها الطرفان دفاعًا عن مصالحهم، وإنني أعتبرها إلى حد ما إحدى حلقات الحروب الصليبية الموجهة ضد العالم الإسلامي^(٢).

ويرى البعض الآخر: أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (٣٠١-٣٤٨هـ/٩١٣-٩٥٩م) كان أول من استهل عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب سواء عند الفرنج أو الروم على حد سواء، لما قام به من إثارة الحماس الديني عند البيزنطيين، وأنه صار واجبًا على كل مسيحي أن ينهض لقتال المسلمين أعداء المسيح، وهذه الروح الدينية لدى قسطنطين السابع أثارت

(١) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٨٩.

(٢) صابر دياب: المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري: مكتبة السلام العالمية - القاهرة - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٤.

القادة والجند على السواء، فاعتبرهم المعاصرون حماة المسيحية، وقد حملوا راياتهم التي تزينها صور القديسين المقاتلين^(١).

لاشك أن هذه الآراء لها وجاهاها، وتتفق تقريباً على أن القرن الرابع كان بداية الحملات الصليبية، مع اختلاف بعضها في أن البداية كانت لقسطنطين السابع أم نقفور فوكاس وهو خلاف بسيط، لاسيما إذا علمنا أن قسطنطين هو من ولى فوكاس قيادة الجيش البيزنطي فاستطاع استرداد كريت، ثم نقله إلى الشرق لمواصلة انتصاراته ضد المسلمين وبالتالي، فإن نجاح فوكاس في حملاته يعد نجاحاً للإمبراطور قسطنطين السابع كما أن نقفور فوكاس هو من تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية بعد قسطنطين السابع وواصل حملاته على بلاد المسلمين.

بينما يرى البعض الآخر أن حملات نقفور فوكاس لا علاقة لها بالحملات الصليبية؛ إذ لا صليبيات قبل عام (٤٩٠هـ/١٠٩٥م)^(٢)

هذا التاريخ ذكره بعض المؤرخين^(٣) كبدية للحروب الصليبية بعد أن أعلن البابا أوربان الثاني في نوفمبر (١٠٩٥م) بعقده مجمعاً لرجال الدين في مدينة كليرمونت الفرنسية ومن خلال هذا المجمع وجه المسيحيين في أوروبا إلى الشرق للاستيلاء على بيت المقدس.

ومن وجهة نظري فإني أتفق مع إحدى الباحثات: والتي ذكرت أن الحروب أو الحملات الصليبية لم تكن مجرد حركة هامشية في العصور الوسطى، بل كانت حركة محورية بالنسبة للهوية الغربية التي كانت قيد التبلور في ذلك

(١) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية (دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة): عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - مصر - الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م ص ٢٧٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج ٨ ص ٤١٥.

الحين وهي ما فتئت مستمرة إلى يومنا هذا، ناهيك عن أنها أظهرت الدين في أشنع صورته^(١).

وبالتالي: فإن هذا التاريخ ليس بداية الحروب الصليبية، بل إنها من وجهة نظري قد بدأت منذ أن رفض الإمبراطور البيزنطي هرقل دعوة النبي ﷺ للدخول في الإسلام، ثم كانت المواجهات بين المسلمين والنصارى على مر العصور الإسلامية، وأن الفترة الزمنية الممتدة بين سنتي (٤٨٨-٦٩٠هـ/١٠٩٥-١٢٩١م) ما هي إلا دورًا من أدوارها، كما أن هذه الحملات مستمرة إلى قيام الساعة، وإن اختلفت الطرق والأساليب في عصرنا الحالي. وفي حقيقة الأمر كان نقفور فوكاس مدفوعًا بعصبية دينية تجاه الإسلام والمسلمين، وقد أسهمت تربيته الدينية في ذلك، ولا يمكن إغفال خطبته في الجماهير البيزنطية موضحًا لهم أن غايته الوصول إلى بيت المقدس^(٢).

ويؤكد ذلك وحشيته وغلظته في بلاد الإسلام وقد وصفه بهذا الوصف ابن كثير مع ذكر القصيدة التي كان فوكاس قد أرسلها إلى الخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ / ٩٤٦-٩٧٤م): فيقول: "كان هذا الملعون من أغظ الملوك قلبًا، وأشدّهم كفرًا، وأقواهم بأسًا، وأحدّهم شوكة، وأكثرهم قتالًا للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيامه على كثير من السواحل، أو أكثرها، وانتزعها من أيدي المسلمين قسرًا، واستمرت في يده قهرًا، وأضيفت إلى مملكة الروم قدرًا....."، ثم يضيف قائلاً: "وقد كان - لعنه الله - لا يدخل في بلدة إلا قتل المقاتلة وبقيّة الرجال، وسبى النساء والأطفال، وجعل جامعها إصطبلًا لخيوله، وكسر منبرها، وأسكت مؤذنيها بخيله ورجله وطبوله، ولم يزل ذلك من دأبه

(١) كارين أمسترونغ: الحرب المقدسة - الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم:

ترجمة/ سامي البعلبكي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ٢٠٠٥م ص ١١.

(٢) مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية: ص ٢٧٥.

وديدنه حتى سلط الله عليه زوجته، فقتلته بجواربها في وسط مسكنه، وأراح الله منه الإسلام وأهله، وأزاح عنهم قتام ذلك الغمام، ومزق شمله..^(١).
ثم يذكر قصيدته التي أرسلها إلى الخليفة وسوف أذكر أبياتاً منها فقط لطولها، وكان مما جاء فيها:

من الملك الطهر المسيحي مالك	إلى خلف الأخلاف من آل هاشم
إلى الملك الفضل المطيع أخي	ومن يرتجى للمعضلات العظام
أما سمعت أذنك ما أنا صانع	ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فإن تك عما قد تقلدت نائما	فإني عما همني غير نائم
ثغورك لم يبق فيها لوهركم	وضعفكم إلا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمنية كلها	بفتيان صدق كالليوث الضراغم
ونحن صلبنا الخيل تعلق لجمها	وتبلغ منها قضمها للشكائم
إلى كل ثغر بالجزيرة أهل	إلى جند قنسرينكم فالعواصم
وملطية مع سميساط وكركر	وفي البحر أضعاف الفتوح التواخم
ودارا وميافارقين وأرزننا	أذقتاهم بالخيل طعم العلاقم
واقريطش جازت إليها مراكبي	على ظهر بحر مزيد متلاطم
فحزتم أسرى وسيقت نساؤهم	ذوات الشعور المسيلات النواعم
هناك فتحنا عين زربة عنوة	نعم وأبدنا كل طاغ وظالم
إلى حلب حتى استبحنا حريمها	وهدم منها سورها كل هادم
أخذنا النساء ثم البنات نسوقهم	وصبيانهم مثل المماليك خادم

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية: تحقيق/ علي

شيري - دار إحياء التراث العربي - الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج ١١ ص ٢٧٧.

ألا شمرؤا يا أهل بغداد ويلكم
رضيتم بحكم الديلمي ورفضه
ويا قاطني الرملات ويلكم ارجعوا
وعودوا إلى أرض الحجاز أذلة
سألقي جيوشا نحو بغداد سائرا
وأحرق أعلاها وأهدم سورها
وأخرج منها نحو مكة مسرعا
فأملكها دهرا عزيزا مسلما
أعود إلى القدس التي شرفت بنا
وأعلو سريري للسجود معظما
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم
نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم
قضاتكم باعوا القضاء بدينهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهراً
سأفتح أرض الله شرقاً ومغرباً
فيعسى علا فوق السموات عرشه
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى
تناولتم أصحابه بعد موته

فلكم مستضعف غير رائم
فصرتم عبيداً للعبيد الديالمي
إلى أرض صنعا راعيين البهائم
وخلوا بلاد الروم أهل المكارم
إلى باب طاق حيث دار القماقم
وأسبي ذراريها على رغم راغم
أجر جيوشا كالليالي السواجم
أقيم بها للحق كرسي عالم
بعز مكين ثابت الأصل قائم
وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
لكل نقي الدين أغلف زاعم
وأعلنتموا بالمنكرات العظامم
كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم
وبالإفك والبرطيل مع كل قائم
وأنشر دينا للصليب بصارمي
يفوز الذي وإلاه يوم التخاصم
فصار رفاتا بين تلك الرمائم
بسب وقذف وانتهاك المحارم

يتضح من هذه القصيدة: أن الإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس يتهم فيها على الإسلام والمسلمين ويتوعدهم ويفتخر بأنه استولى على بلادهم وقتل الكثير من الرجال، وأخذ الكثير من النساء والأطفال أسارى، كما هددهم بأنه

سوف يستولى على ما تبقى من ديار الإسلام معدداً إياها، ومنها بغداد دار الخلافة العباسية ومكة وبيت المقدس، ثم يستعرض الأسباب التي أدت إلى إنتصاره على جيوش المسلمين من وجهة نظره، معدداً تقصير أهل ذلك الزمان وجور ولاة المسلمين وبيع القضاة دينهم وانتشار الرشوة وشهادة الزور، ثم يزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام.

وفي حقيقة الأمر: لقد بلغ الإمبراطور (نقفور فوكاس) القمة في القوة والمجد في عصر كانت فيه الخلافة الإسلامية تعاني الضعف والهوان، حتى أنه يتوعد فيها أهل الإسلام جميعاً بأنه سيملك بلادهم كلها حتى الحرمين الشريفين.

وقد يتسأل البعض: من الذي نظم هذه القصيدة لهذا الإمبراطور؟ فلا شك أنه من الذين يجيدون اللغة العربية ونظم الشعر بهذه الطريقة.

وللإجابة على هذا التساؤل: يقول ابن كثير: إن الذين نظموا القصيدة كانوا بعض كتابه ممن قد خذلهم الله وأذلهم وختم على سمعهم وقلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة وصرفهم عن الإسلام وأهله^(١).

إذن لا شك عندي أن حملات فوكاس كانت تمثل نوعاً من الحملات الصليبية الموجهة بعصبية دينية ضد الإسلام والمسلمين.

نهاية الإمبراطور نقفور فوكاس.

كانت بداية النهاية لنقفور فوكاس تتمثل في النقاط الآتية:

١- الاضطرابات داخل الإمبراطورية.

بدأت هذه الاضطرابات والقلقل بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها نقفور فوكاس على الشعب لتمويل حروبه، مما زاد في وطأتها على الناس، فأدى ذلك إلى فقدان فوكاس لشعبيته بين العامة، بل زاد حنقهم عليه^(٢).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ج ١١ ص ٢٧٧.

(٢) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٥١٣، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

ص ٢٠٣، ٢٠٤، عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٦١.

على كل حال لم يكن سخط الشعب على فوكاس هو السبب الوحيد الذي أدى به إلى مصيره، بل كان هناك أسباباً أخرى هي الخلاف الذي نشأ بين فوكاس وزوجته من ناحية، ومن ناحية أخرى خلفه مع قائد يوحنا تريمسكس (ابن الشمشيق)

٢- الخلاف الذي دب بينه وبين زوجته ثيوفانو على ولاية العهد.

كان سبب هذا الخلاف أن نقفور فوكاس أراد أن يخلف أخاه ليو فوكاس في القسطنطينية نائباً عنه وينحي أبناء ثيوفانو والإمبراطور السابق رومانوس الثاني وهما (باسيل وقسطنطين)، ويروي لنا الأنطاكي الحوار الذي دار بين نقفور فوكاس وزوجته ثيوفانو في هذا الشأن فيقول: "قلماً انتظم له التدبير وتمّ له ما أراد قتل، وكان السبب في قتله أنه عزم على أن يغزو ويخلف أخاه لاون القربلاط في القسطنطينية نائباً عنه ويخلف الصبيين باسيل وقسطنطين [ابني رومانس] عنده، ولما عرفت أمهما الملكة ثاوفانو ما عزم الملك عليه قالت له: إنني أتخوف عليك الحوادث، ولا أطمأن إلى أخيك على ولدي ولا آمن به، لأنه إذا رأى نفسه منفرداً بتدبير الأمر في البلاط أخاف أن يتغلب على الملك دونهما، ولا سيما وله أولاد، فأعلمها الملك أنه ممن لا يفعل ذلك، وقد كان أهلاً أن يستراب به ولا يطمأن إليه، وتردد الخطاب بينهما في ذلك إلى أن انتهرا وقال لها مغضبا: إنك الآن تضطريني إلى أن أخصي الصبيين وأجعل الملك لأخي. فأمسكت عن معاودته.."^(١).

٣- الخلاف الذي نشأ بين نقفور فوكاس وبين يوحنا تريمسكس (ابن الشمشيق) الذي كان دمستقاً بالشرق وأحد قادته، لشكه في سلوكه مع زوجته ثيوفانو، وقد كانت الأخيرة قد أحبت تريمسكس، وأخذت تتودد إليه وتتأمر معه للتخلص من زوجها نقفور فوكاس، وقد وصلت أخبار هذه المؤامرة إلى ليو فوكاس شقيق الإمبراطور نقفور فوكاس، فقرر إبعاد تريمسكس إلى آسيا

(١) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٣٨.

الصغرى والتشهير به ومنعه من التصرف في أملاكه وعزله عن قيادة قوات الشرق، إلا أن ثيوفانو تدخلت عند الإمبراطور لمنعه من ذلك نظراً لخدمات تريمسكس الجليلة التي قدمها للإمبراطورية البيزنطية، فوافق نقفور على طلبها لأنه كان يحبها حباً شديداً^(١).

ومن وجهة نظري أن موافقة نقفور على طلب زوجته يعد خطأ كبيراً وقع فيه، فكيف يشك في سلوكها معه، وتدخل لانتقاده ويوافقها على ذلك، ويبدو أن القدر أراد أن يسقيه من نفس الكأس الذي سقى منه غيره عند وفاة زوجها الإمبراطور رومانوس الثاني، فقد أحبت ثيوفانو نقفور فوكاس قائد الشرق وأرسلت إليه تستدعيه للتخلص من الحاكم الفعلي للإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت وهو برنجاس، الذي كان سبباً في علو شأن نقفور فوكاس، ويبدو أن هذه المرأة كانت تستند إلى من تجده قوياً، أو من يسيطر على الجيش البيزنطي في ذلك الوقت، أما مسألة الحب سواء أكانت لنقفور فوكاس، أم يوحنا تريمسكس فكان أسلوباً من أساليبها الخبيثة تستخدمه للسيطرة على من تجد فيه أو معه القوة.

على كل حال اجتمعت المصالح المشتركة بين ثيوفانو وتريمسكس على التخلص من الإمبراطور نقفور فوكاس، فثيوفانو وما اشتهرت به من الجمال، وشدة العاطفة، والحرص على الاستمتاع بالحياة، فضلاً عن أنها مازالت في صباها، يقابله عند فوكاس خشونة الطباع، وشدة الميل إلى التقشف والانصراف إلى الحرب والقتال، أما تريمسكس فرأى أن ما حدث معه يعد إهانة له من ناحية، ومن أخرى فإنه استبد به الطموح واشتد حقه على رفيقه نقفور لما وصل إليه من المجد والسلطان، كما أحس أن نقفور أنكر معروفه له وما قدمه إليه من خدمات جليلة، فهو مدين له بعرشه إلى حد كبير^(٢).

(١) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٥١٤، عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٦٢.

(٢) العريني: الدولة البيزنطية: ص ٥١٣.

كل هذه الأسباب مجتمعة ربطت روح التآمر على قتل نقفور بين الملكة ثيوفانو ويوحنا تزيمسكس، ولم يكن من العسير عليهما أن يلتمسا أعوانًا لتنفيذ المؤامرة نظرًا لكثرة الساخطين على نقفور، وفي عام (٣٥٩هـ/ ١١ ديسمبر ٩٦٩م) وفي ليلة شديدة البرودة، ذهب المتآمرون إلى القصر متخفين في زي النساء، وكان نقفور قد بلغه تحذير من أن مغتاليه في القصر، فأمر بتفتيش القصر، إلا أن المتآمرون من الحرس تركوا غرفة الإمبراطورة دون تفتيش، وكان المنفذون للجريمة يختبئون فيها، وقد يسرت لهم الدخول إلى غرفتها سرًا، وبذلك نجا القتلة من الاعتقال، وعندما كان نقفور نائمًا على الأرض أمام الأيقونات المقدسة، تسلل تزيمسكس والآخرون إلى مخدعه، فانزعجوا عندما وجدوه خاليًا، فنقفور كان كثيرًا ما ينام على الأرض، فلما أيقظته الجلبة، نهض نقفور في الوقت الذي كان يهوي فيه أحد القتلة بسيفه في محاولة لقطع رأسه، فهوى السيف على وجه نقفور، ثم أقبلوا على ربط رجليه، وأخذوا يجرونه أمام تزيمسكس، الذي صار يكيل له الشتائم واللعنات، ويقول له: "قل لي، أيها الطاغية الشرير، عديم الإحساس، ألم تكن أعمالتي هي التي مكنتك من بلوغ ذرى السلطة الرومانية؟ كيف إذن لم تعر انتباهًا لتلك الخدمات الجليلة؟ كيف، وقد أعماك الشر والجنون، تجرؤ على إقالتني، وأنا عونك، من قيادة الجيش؟"، ثم ضربه على رأسه، بينما بادر أحد المتآمرين من الإجهاز عليه، ثم قُطعت رأسه وطافوا بها في الشوارع على رمح، بينما رُمي جسده من النافذة، وفي اليوم التالي تم دفنه في سرية تامة في كنيسة القديسين، بينما تزوج يوحنا تزيمسكس من ثيوفانو وأصبح الإمبراطور البيزنطي يوحنا الأول^(١).

وبوفاة نقفور فوكاس ينتهي عهد من أهم عهود الإمبراطورية البيزنطية بالنسبة للناحية الحربية، فقد كانت حملاته على بلاد المسلمين من أنجح حملات

(١) الأنطاكي: تاريخه: ص ١٤٠، العريني: الدولة البيزنطية: ص ٥١٦، عمران: معالم

تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص ٢٠٣، ٢٠٤، عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية: ص ١٦٢.

البيزنطيين عبر العصور المختلفة، حيث نجح في استعادة جزيرة كريت من أيدي المسلمين عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) كما استولى على معظم البلدان والثغور الشامية التي سبق الحديث عنها، وكان سبباً في ضعف الدولة الحمدانية ثم سقوطها فيما بعد.

نتائج البحث

كان نقفور فوكاس أحد القادة والأباطرة العسكريين البارزين الذين كان لهم دور كبير في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بل لعب دورًا مهمًا في الأحداث والتطورات السياسية والعسكرية وذلك من خلال توليه بعض المناصب القيادية في الجيش ثم عرش الإمبراطورية البيزنطية، وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج الهامة التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- أكد البحث أن نقفور الثاني فوكاس كان ينتمي لأسرة عسكرية عريقة في اشتهر أفرادها بالحرب والقتال، وقد سار فوكاس على درب أسلافه، وقد اجتمع فيه صفة الجندي وصفة الراهب، فكان جنديًا قديرًا تعلق بالجيش والجنود وبادلوه هذا الشعور، كما كان نقيًا ورعًا متمسكًا بالصلاة.

- أثبت نقفور فوكاس قدرته العسكرية أثناء قيادته لأول حملة قادها ضد المسلمين لاسترداد جزيرة كريت وقد نجح في الاستيلاء على الجزيرة عام (٣٥٠هـ/٩٦١م).

- أثبت البحث أن القائد نقفور فوكاس نجح في قيادته لبعض الحملات الموجهة ضد المسلمين في الشرق خلال الفترة (٣٥٠-٣٥٢هـ/٩٦١-٩٦٣م) والتي كان طابعها السلب والنهب، وقد استولى من خلال هذه الحملات على الكثير من الأموال والأسرى الذين تم بيعهم في القسطنطينية.

- أكد البحث أن نقفور فوكاس كانت له أطماع خاصة من وجهة نظري وهي الوصول إلى عرش الإمبراطورية البيزنطية، ويؤكد ذلك تركه حصار حلب عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م) والإسراع نحو القسطنطينية بعد وصلته رسالة من ثيوفانو زوجة الإمبراطور رومانوس الثاني (٣٤٨-٣٥٢هـ/٩٥٩-٩٦٣م).

- أكد البحث على نجاح نقفور فوكاس في حملاته على المسلمين حتى بعد توليه عرش الإمبراطورية البيزنطية.

- استولى فوكاس على العديد من البلدان والثغور الإسلامية خلال المدة (٣٥٢-٣٥٨هـ/٩٦٣-٩٦٩م).

- أثبت البحث ضعف العالم الإسلامي خلال هذه الفترة، فلم يحرك ساكنًا عندما سقطت كريت أو حتى أي مدينة من المدن الإسلامية.
- أكد البحث على وحشية وغلظة نقفور فوكاس في بلاد الإسلام وقد وصفه بهذا الوصف ابن كثير فقال: "كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلبًا، وأشدهم كفرًا، وأقواهم بأسًا، وأحدّهم شوكة، وأكثرهم قتالًا للمسلمين في زمانه...".
- بين البحث مدى أطماع نقفور فوكاس في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا.
- أكد البحث أن نقفور فوكاس حقق ما لم يحققه غيره من البيزنطيين في بلاد المسلمين سواء أكانوا قادة أم أباطرة على مدار تاريخهم الطويل مع المسلمين منذ عهد هرقل في عصر النبي ﷺ، وحتى سقوط القسطنطينية عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م).
- أثبت البحث أن حملات نقفور فوكاس على بلاد المسلمين كانت نوعًا من الحملات الصليبية إذ كان مدفوعًا بعصبية دينية تجاه الإسلام والمسلمين.
- أكد البحث أن الإمبراطور (نقفور فوكاس) بلغ القمة في القوة والمجد في عصر كانت فيه الخلافة الإسلامية تعاني الضعف والهوان، حتى أنه كان يتوعد فيها أهل الإسلام جميعًا بأنه سيملك بلادهم كلها حتى الحرمين الشريفين.
- أكد البحث على أن الخيانة والتناحر وإحاكة المؤامرات من أجل الوصول إلى العرش كان سمة من سمات الإمبراطورية البيزنطية.
- وفي النهاية أسأل الله التوفيق والقبول وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ):
الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري - دار
الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى
١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الأصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ):
البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان: تحقيق/ عمر عبد
السلام تدمري - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - الطبعة
الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ):
تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا: تحقيق/ عمر
عبد السلام تدمري - جروس برس - طرابلس - لبنان -
١٩٩٩م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ):
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عالم الكتب -
بيروت - الطبعة: الثالثة ١٤٠٣هـ
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ) :
فتوح البلدان: دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٨م
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ):
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر
عطا، مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية -
بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ):

- الروض المعطار في خبر الأقطار: تحقيق/ إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة - مطابع دار السراج - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ):
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٠٠م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ):
الوافي بالوفيات: تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ):
بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٧م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ):
تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): دار التراث - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
- ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ):
بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق/ سهيل زكار - دار الفكر - بيروت - لبنان - د. ت.
زبدة الحلب في تاريخ حلب: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ):

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة:
ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال - دار الثقافة - بيروت -
لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
- القاضي النعمان، النعمان بن محمد بن حيون (٣٦٣هـ):
المجالس والمسائرات: تحقيق/ محمد اليعلاوي وآخرون - دار
المنتظر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ):
البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري - دار إحياء التراث
العربي - الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
 - مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ):
حدود العالم من المشرق إلى المغرب: ترجمة وتحقيق/ السيد
يوسف الهادي - الدار الثقافية - القاهرة ١٤٢٣هـ.
 - مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ):
تجارب الأمم وتعاقب الهمم: تحقيق/ أبو القاسم إمامي -
سروش - طهران - الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
 - النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ):
نهاية الأرب في فنون الأدب: دار الكتب العلمية - بيروت -
لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
 - ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ):
تاريخ ابن الوردي: دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت -
الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
 - ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ):
معجم البلدان: دار صادر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- ثانيًا: المراجع والمجلات والمواقع:
- إبراهيم أحمد عيسى:

إمارات أوروبا المسلمة (إقريطش إمارة المطرودين): مقال منشور بموقع ساسة بوست.

• أحمد معمور العسيري:

موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر [١٤١٧هـ/٩٦-٩٧م] مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

• استارجيان:

تاريخ الأمة الأرمنية: مطبعة الاتحاد - الموصل - ١٩٥١م

• أسد رستم:

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب: دار المكشوف - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

• إسمت غنيم:

الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية: دار المعارف - مصر - ١٩٨٣م .

• تحسين علي الكريدي:

جزيرة كريت في التاريخ العربي والإسلامي: دار البيروني - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ٢٠١٩م .

• جميل عبد الله المصري:

طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.

• السيد الباز العريني:

الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م: دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - د. ت.

- صابر دياب:
المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية
والشامية خلال القرن الرابع الهجري: مكتبة السلام العالمية -
القاهرة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- طلب صبار، انتصار شاكرو:
العلاقات السياسية للقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة
الفراتية مع البيزنطيين في القرنين الرابع والخامس الهجريين:
مجلة آداب الفراهيدي - جامعة تكريت - العراق - العدد ١١
لعام ٢٠١٢م .
- طه خضر عبيد:
تاريخ الدولة البيزنطية (٣٢٤-٤٥٣م): دار الفكر - عمان -
الأردن - الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م.
- عبد الحكيم الكعبي:
الجزيرة الفراتية وديارها العربية [ديار بكر، ديار ربيعة، ديار
مضر] دراسة في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي قبل
الإسلام: دار صفحات - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى
٢٠٠٩م.
- علي إبراهيم بكرابي:
تاريخ جزيرة كريت والمهاجرين: دار المنى - طرابلس - لبنان
- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- عمر عبد السلام تدمري:
لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية
(١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م): جرس برس - طرابلس -
الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- عمر كمال توفيق:

الإمبراطورية البيزنطية: دار المعارف - مصر ١٩٦٧م.

• فازيليف:

العرب والروم: ترجمة/ محمد عبد الهادي شعيرة - دار الفكر
العربي - القاهرة

• كارين أرمسترونغ:

الحرب المقدسة - الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم:
ترجمة/ سامي البعلبكي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان
- ٢٠٠٥م .

• محمد مؤنس عوض:

الإمبراطورية البيزنطية (دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة):
عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - مصر -
الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

• محمود سعيد عمران:

معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: دار المعرفة الجامعية -
الإسكندرية - مصر ٢٠٠٠م.

• موقع:

https://archiqoo.com/locations/anazarbus_ar.php.

• نورمان بينز:

الإمبراطورية البيزنطية: ترجمة/ حسين مؤنس، محمود يوسف
زايد - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - الطبعة
الأولى ١٩٥٠م.

• ول ديورانت:

قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمود وآخرين: دار
الجيل - بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم - تونس - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.